مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (١)، ص ص ١٦٣-٢٢٦، (محرم ١٤٣٨هـ/ أكتوبر ٢٠١٦)

الإطالة التعويضية في اللغة العربية: دراسة صوتية صرفية معاصرة "قراءة الزهري نموذجا"

د. علي سليمان الجوابرة
أستاذ مساعد في الدراسات اللغوية، جامعة طيبة، المدينة المنورة

ملخص البحث. تعد ظاهرة الإطالة التعويضية من الظواهر الصوتية الصرفية في اللغة العربية التي تستحق الوقوف عندها، وكان هدف البحث تسجيل ما قيل حولها، ومناقشة آراء القدماء والمحدثين حول قضاياها، لأن هذا الموضوع لم ينل حظه الوافر في الدراسات الصرفية العربية القديمة، فضلا عن أنه لم يفرد بعنوان خاص له، وخلصت إلى ما أراه إجراء صوتيا تعمد إليه اللغة العربية ويحدث للكلمة، ويخضع حدوثها للموقع أو للأصوات المجاورة، وبالتالي يؤثر في التشكيل الصوتي للكلمة.

وقد أتى البحث في مقدّمة تناولت التعريف بهذه الظاهرة الصوتية، وأسباب هذا التغيير، ثم درسنا الإطالة من جانبين: جانب صوتي يتعلق بالسياق الصوتي الذي تتكون فيه وعلة سقوط الصوت، وجانب صرفي يتعلق بعنصر التعويض المتمثل بطول الحركة ودوره في الإبقاء على الكلمة، ومن هنا فقد وجدنا مظهرين للإطالة التعويضية في العربية، هما: مسألة التخلص من الهمز في العربية ثم مجيء الإطالة كعنصر تعويضي عن سقوطها، وكذلك مسألة اختزال الصوت المشدد أو التخلص من أحد المثلين المتتابعين ثم التعويض عنهما بالإطالة.

وكان لا بد من توقف البحث عند جزئية تطبيقية للإطالة من باب التركيز على المسألة ولم شتاتها المتفرقة حتى تتضح أكثر فوقع الاختيار على قراءة الزهري لتكون مثالا للربط بين الجانب النظري والتطبيقي.

هذا وقد سجّل البحث عدة نتائج في نهايته تؤكّد أهمية الإطالة التعويضية في الدرس اللغوي من أبرزها: أن الإطالة التعويضية ظاهرة لغوية لا مجال لردها أو إغفالها، قد جاءت بها أنماط في القرآن الكريم وقراءاته، وأن إشغال موقع الصامت بعد إسقاطه بالإطالة التعويضية يكون للإبقاء على الإيقاع الصوتي للكلمة، وللمحافظة على النظام المقطعي للأبنية والصيغ .

مصطلحات أساسية: الإطالة، التعويض، النبر، المخالفة، النظام المقطعي للأبنية .

التعريف بالظاهرة

من المعلوم أنّ هناك قاعدة صوتية عامة في علم الأصوات واللسانيات التاريخية مفادها: أنّ إضعاف أو إسقاط الصوامت يكون مصحوبا في بعض الأحيان بإطالة تعويضية (Compensator Lengthening) للحركة السابقة[١] وقد عرفها داريا سفتسكاي(darya savitskaya) : بأنها تشير إلى مجموعة من الظواهر الفنولوجية عندما يختفي أحد العناصر من التشكيل الصوتي يرافقه تطويل متجانس لعنصر آخر[٢]، وهناك من أطلق عليها "التمديد الصوتي لتعويض المحذوف"[٣]

من هنا جاءت الدراسة للوقوف على الإطالة التعويضية كظاهرة (سياقية): صوتية صرفية من وجهة نظر علم اللغة المعاصر كإحدى التغيرات الصوتية التي تحدث للكلمة، ويخضع حدوثها للموقع أو للأصوات المجاورة ومدى تأثيرها في التشكيل الصوتي للكلمة، بالإضافة إلى أنها إحدى الظواهر اللغوية العامة التي تميل إليه اللغات جميعها، وربما كان أكثر من ذلك على أساس اعتبارها مما تقتضيه قوانين التطوّر اللغوي .

واضح أنّ الإطالة هي مد أو مطل للحركة القصيرة السابقة للصامت الساقط، أو لحركة الصامت الساقط من بنية الكلمة بحيث تصبح طويلة، أي أنّ هناك حركة في الأصل ثم إطالة لها، وليس تعويض الحذف بإحلال صامت آخر، ومن هنا ينبغي أنّ نخرج من الإطالة التعويضية ما إذا كان المعوّض صامتا .

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي الشايب، الطبعة الأولى: عالم الكتب، اربد (٢٠٠٤).ص:٣٤١

(٢) ينظر: Darya Kavitskaya. Compensatory lengthening Page 1

Spencer, A. Phonology: Theory and description. Blackwell Publishers Inc, 108 Cowley Road. Oxford OX4 1JF, United Kingdom. (1996).Page 77

(٣) ما بعد الاستشراف، مفتاح محمد،، مجلة سمات جامعة البحرين، مركز النشر العلمي، مايو سنة ٢٠١٣، مجلد ١، عدد ١، ص٣١-٤٦

وأطلقنا عليها التعويضية لأنها لا قلب ولا إبدال فيها، وإنما هو إسقاط ثم إطالة صوت قصير في الأصل، فأصبح طويلا أي أنّ هنالك حركة ثم إطالة لها، ويقصد بالتعويض هنا المفهوم اللغوي، وهو ما يفهم من مادته وسائر تصاريفها: البدل والخلف(٤)، فالبدل والعوض من الناحية اللغوية متفقان بل مترادفان(٥)فالتعويض بالمعنى اللغوي(المعنى العام) لا الصرفي هو ما نقصده: إذ لا يخرج عن كونه إحلال صوت مكان صامت، أي ما يخلف الصامت بعد سقوطه أو إضعافه موقعيا، ونقتصره على الإطالة المتمثلة هنا بالعلة الطويلة أو الحركة الطويلة.

وليس مقصودنا هنا كذلك المعنى الاصطلاحي للتعويض أو البدل الواردين في المدونة اللغوية العربية المتضمنين في أغلب أنماطهما الصوامت لا الصوائت، فالتعويض يقصد به: الإتيان بحرف عوضا من آخر بحيث يكون العوض مباينا للمعاض(المعوض) منه، وفي غير موضعه غالبا، كما في التاء في عدة وزنة عوضا من فاء الفعل(٦)

في حين أنّ البدل من الناحية الاصطلاحية مؤداه أنّ البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض منه، والبدل يكون في موضع المبدل منه أما العوض فلا يلزم ذلك(٧)، فالألف في قام وصام بدل من الواو لكونها واقعة موقعه وشبيه بها، ولا يصح أنّ نطلق عليه عوضا، ولذا هنا لم نطلق على موضوعنا الإبدال ولن نتناول مسائله لأن الإبدال الصرفي لا يجوز إلا فيما تدانت مخارجه من الأصوات.

ومن الضروري التأكيد مرة أخرى على أنّ الإطالة في دراستنا يراد بها التغير المقيد الذي يحدث نتيجة حذف الصامت تتبعه إطالة

---

(٤) لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي) دار صادر، بيروت (١٩٥٥). مادة (عوض)، الجزء السابع ص: ١٩٢

(٥) الخصائص، ابن جني،، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية: دار الهدى، بيروت ص: ٢٥٦

(٦) شرح المفصل، ابن يعيش(موفق الدين)، الطبعة الأولى، قدم له أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان (١٤٢٢-٢٠٠١)الجزء الخامس ص: ٣٤٧

(٧) الخصائص، ابن جني، الجزء الأول ص: ٢٦٥، شرح المفصل، ابن يعيش ، الجزء الخامس ص: ٣٤٧

حركية، وليس المقصود مطلق التغيير، وإنما يقصد به تغيير محدود يكتفي بالحذف مع مسألة تطويل الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة .

الإطالة التعويضية في الساميات واللهجات العربية

ووجدنا هذه الإطالة التعويضية في الساميات، فهي مما احتفظتْ به اللغة العربية من بقايا اللُّغات السامية القديمة، التي تنتمي إليها كالأكادية والعبرية والسريانية، فتسهيل الهمزة في نحو: (رأس) و(مؤمن) فهو في حقيقته حذف مصحوب بالإطالة التعويضية، وله نظائر كثيرة في الساميات، منها أنّ كلمة "راس" بتسهيل الهمزة في العربية يقابلها šu) ê(r في الأكادية، و(roš) في العبرية، و (rïšä) في السريانية، وفي العربية الفعل بدأ bad<a يقابله في العبرية بادا baadaa وفي السريانية badaa والفعل في العربية ظمئ žami<aيصير في العبرية êaamž في جميعها أطالة تعويضية "(٨) ويقول بروكلمان: "في السامية الأولى خولفت مجموعة الأصوات(<a>) إلى(<aa>)، ولم تعد إلى الظهور من جديد إلا في الحبشية في المضارع للمتكلم المفرد (<e>) "(٩)

وقال برجشتراسر: "والقانون الصوتي لهذا الحذف الأقدم، هو أنه إذا توالى همزتان أولاهما في أول المقطع والثانية في آخره، حذفت الثانية ومدت الحركة قبلها، مثال ذلك: كلمة آو" أصلها "أأو": (أأ) مقطع أوله همزة وآخره همزة أيضا، فحذفت الهمزة الثانية ومدت الفتحة التي قبلها، والدليل على أنّ هذا الحذف سامي الأصل وجوده في العبرية والآرامية أيضا، فإن كلمة آمُرُ يطابقها في العبرية <Ômar، وحركة Ô نشأت عن الفتحة الممدودة حسب القوانين الصوتية الخاصة باللغة العبرية، وفي

(٨) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موسكاتي وآخرون، ترجمة مهدي المخزومي، عبد الجبار المطلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت (١٤١٤-١٩٩٣).، ص: ١١٠

(٩) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمه رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، (١٩٧٧)، ص:١٣٦

الآرامية يطابقها ēmar > وحركة ē تقابل حركة Õالعبرية في هذه الحالات"(١٠).

هذا من ناحية اللغات السامية أما من ناحية اللهجات العربية القديمة فقد أشار رابين إلى أنّ المصادر العربية ذكرتْ أنّ طيئًا تقول: بَقَى وبقَت مكان بقيَ وبقيَت، وكذلك أخواتها من نحو: رضيَ ونسيَ وفنيَ، يجعلون الياء- نصف العلَّة- ألفًا(١١).

ويبدو أن ظاهرة قلب الياء ألفا في لهجة طي اطردت في الأسماء أيضا، إذ أنهم قالوا طائي، والأصل طَيْئي(١٢)وقالوا: خَظَاةٌ بَظَاة في خَظِيَة بَظِيَة (١٣)، ولقد ورد"أن من العرب من يقلب في بعض الأحوال الواو والياء الساكنتين ألفين للفتحة قبلهما، وذلك نحو قولهم في الحِيْرة: حاري، وفي طيْء: طائي، وأجاز غير الخليل في آية أن يكون أصلها أيّة فقلبت الياء الأولى ألفا لانفتاح ما قبلها، قالوا أرض دَاوِيَة منسوبة إلى الدَّوّ، وأصلها دَوّية فقلبوا الواو الساكنة ألفا لانفتاح ما قبلها، إلا أن ذلك قليل غير مقيس عليه غيره"(١٤)

وعلق المطلبي على ذلك "أن قلب الياء ألفا ظاهرة صوتية اطردت شيئا من الاطراد في هذا القبيل من الأفعال في العربية في حقبة من حقبها، فكان أن قلبت عَسِيَ: عَسَى، وأتي: أتَى، ورَعيَ: رَعَى، وهو ما تدلل عليه اشتقاقاتها أو هذه الأفعال نفسها في إضافتها لتاء الفاعل من نحو قولنا: عَسَيت وأَتَيْت ورَعَيْت" (١٥)

---

(١٠) التطور النحوي في اللغة العربية، برجشتراسر.، أخرجه وصححه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٨٢).ص: ٤١

(١١) في الأصوات اللغوية، غالب المطلبي، دراسة في أصوات المد العربية منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ص: ٢٠٠

(١٢) الكتاب، سيبويه، حقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الأولى: دار الجيل، بيروت، الجزء الثالث ص: ٣٣٦

(١٣) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (خظا) ، الجزء الرابع عشر ص: ٢٣٢

(١٤) سر الصناعة، ابن جني ، الجزء الأول ص: ٢٦

(١٥) الأصوات اللغويَّة، غالب المطلبي، ص: ٢٠٠

واضح في هذا الضرب من الأفعال نشأ بعد سقوط شبه الحركة إطالة في صوت المد القصير، وعلى ما يبدو أن الإطالة هنا نشأت جراء الانسجام بين الأصوات من جهة، ولتجنب توالي المقاطع القصيرة المفتوحة من جهة ثانية، وهو توجه تسعى اللغة إليه في تطورها بشكل عام، وربما توقفه كان لعوامل من أبرزها تدوين اللغة ونزول القرآن.

ويذكر المطلبي تعقيبًا على إبدال الياء من الهاء في (هذي): أنّ ذلك الإبدال شائعٌ عند بني تميم في الوقف المحض...وفي الحقّ أنّ صلة الهاء بأصوات المد معروفة تاريخيًّا في اللغات السامية، ولعلَّ ذلك واضح كلّ الوضوح في اللغة العربيَّة ؛إذ أنّ صوت الهاء فيها من أصوات الاعتلال، ويعامل في حالة تطرُّفه في طائفة من الأفعال معاملة أصوات المد(١٦).

ونحن لا نميل إلى هذا الرأي، إذ لا علاقة صوتية بين الهاء والياء المدية (الكسرة الطويلة)، فلا تقارب بينهما في الصفة أو المخرج، بل بينهما تباعد ينفى حصول أي تبدل بينهما، وهذا الأساس الصوتي يجعلنا نبحث عن تفسير صوتي آخر نفسر فيه التحول الصوتي لحلول الحركة الطويلة محل الهاء، فالهاء حين حذفت بقي ما يسبقها من حركة (هذِ)وهي الكسرة، فحدثت الإطالة التعويضية متمثلة بالكسرة الطويلة(هذي).

وربما كان هذا التفسير- بعيدا عن وصفه بالإبدال- يجعلنا على التماس مباشر بالقوانين الصوتية التي نحتكم إليها في التحولات الصوتية في الأبنية والصيغ، كما يبعدنا عن التكلف في تقديم تفسير أحيانا ينقلنا بين علل بعيدة عن القوانين الصوتية، أقول: فتحول صوتي يتضمن عملية واحدة من ناحية عملية أراها واقعية: حذف الصامت ثم إطالة، وهي مبرر مقبول لتفسير صورة التحول الصوتي التي لحقت طائفة من الأمثلة والشواهد الممثلة لهذه الظاهرة اللغوية، خصوصا إذا لمسنا العلاقة منعدمة بين الصوت المبْدَل والمبدل منه، أضف إلى ذلك أن المسألة من السعة بحيث أنها غطت جزءا لا يستهان به من الأصوات العربية، وهو ما سنتوقف عنده لاحقا .

---

(١٦) المرجع السابق، ص: ٢٠٠

وربما كان من أقرب المسائل التي تشبه في حملها على هذا التحليل الصوتي، أو وصفها بالإطالة التعويضية ما ذهب إليه إبراهيم أنيس، حين قرر أنّ الهاء لا تمثل في الواقع مرحلة في تطور علامة التأنيث في اللغة الفصحى، يقول: "ليست هذه الظاهرة –يشير إلى ما أثر عن بعض القبائل من إحلال الهاء محل التاء –في الحقيقة قلب صوت إلى آخر، وما ظنه القدماء هاء متطرفة، هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل، أو كما يسمى عند القدماء ألف مد، وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة، بل يحذف آخرها ويمتد النفس بما قبلها من صوت لين قصير(الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء"(١٧)، بمعنى أنه سقوط للتاء ثم إطالة للحركة السابقة لها وهي الفتحة بطبيعة الحال .

في حين ذهب بعض الباحثين إلى أنّ الألف المقصورة في الأسماء المؤنثة ليست إلا تطورا للتاء في العربية، يدل على ذلك ما حدث في العامية، حيث تحولت علامة التأنيث (التاء)ألفا مقصورة، فيقال في ناجحة: ناجحا بالإضافة إلى تحولها إلى هاء كما في العبرية، ثم تحولت هذه الهاء إلى مدة، فالهاء عندهم مرحلة وسطى بين التاء والألف، وهناك من ذهب إلى أنّ مراحل التطور هكذا: (at ← ah ← a ← aa)(١٨)

ولضبط الظاهرة مفهوميا نخرج من ظاهرة الإطالة التعويضية ما يسمى بمطل الحركة في التراث العربي الذي توقف عنده ابن جني، وقد أفرد لها فصلا في كتابه الخصائص أسماه "باب في مطل الحروف "وعزا فيه الظاهرة إلى طبيعة هذه الأصوات وقدرتها على الاستجابة للمد والاستطالة عند التذكر والإنكار وورد عند الشعراء مطل الحركة للحاجة إلى إقامة الوزن(١٩)، ومن أجل ذلك فإننا لن نناقش هذه المسألة في هذا البحث، وذلك لاختلاف الوظيفة التي تؤديها مثل هذه الحركات،

---

(١٧) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، : مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٦٥).ص: ١٢٥

(١٨) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة، ص: ٨٢-٨٤

(١٩) الخصائص، ابن جني، الجزء الثالث ص: ١٢٩-١٣٠.

وعلى ذلك نعدها إطالة تنغيمية، والسبب واضح لأن الغرض هنا معنوي .

نخلص بعد كل هذا إلى أن الإطالة التعويضية هي إحلال حركة طويلة محل صامت محذوف بصرف النظر عن كونه مدا لحركة قصيرة أو التقاء حركتين، وليس تعويض الحذف بإحلال صامت آخر.

علاقة الإطالة التعويضية بالصامت المحذوف:

ونحن بدورنا ندرس التعويض بالإطالة، إذ نجد لها في الواقع اللغوي- بالإضافة إلى ما سبق- سياقات متعددة تؤيدها، وهنا تأتي المرحلة الثانية من الإطالة التعويضية، فبعد سقوط الصامت تتشكل حركة طويلة: إما نتيجة إطالة الصائت القصير السابق، بحيث تصبح حركة طويلة، أو نتيجة اتصال حركة الصامت السابق مع حركة الصامت الساقط فينشأ عنه حركة طويلة، ولنأخذ بعض الأمثلة حتى تتضح فكرة الإطالة:

(رأس) ra>s ← ra*s (سقوط الهمزة) ← (راس) raas

(إطالة) في حالة الصامت ساكن

(ملأ) mala>a ← mala*a (سقوط الهمزة) ← (ملا) malaa

(إطالة) في حالة الصامت متحرك

(دِنّار) dinnar ← di*nar (سقوط النون) ←(دينار) diinar

(إطالة) في حالة الصامت ساكن

ونحن ننطلق في تحليلنا الصوتي للإطالة من مبدأ اعتبار العلل الطويلة تتابعا من علتين قصيرتين[٢٠]ونرمز لها(aa، uu, ii) ونرمز للقصيرة (a, u, i)، وربما مما يدعم وجهة نظرنا هذه أنّ الصورة الكتابية تفرق بين العلة الطويلة وهي الألف والواو والياء في مقابل الضمة والكسرة والفتحة التي تظهر حقيقة أنّ هناك سقوطا للصامت، ثم تتبعه إطالة للعلة القصيرة الموجودة أصلا كما في كلمتي راس ودينار، أو التقاء الحركتين كما في كلمة: ملا.

فالذي حدث أنّ الصامت: الهمزة في (رأس) والنون في (دِنّار) حذفتا، وما قبلها متحركة فأطيلت الحركة السابقة عليها، وأكثر ما كان ذلك في الهمزة، يقول إبراهيم أنيس: "وقد مالت اللهجات العربية في العصور الإسلامية إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقه محققة لما تحتاج حينئذ من جهد عضلي، فالهمزة المشكلة بالسكون قد تسقط من الكلام، ويستعاض عن سقوطها بإطالة صوت اللين قبلها فينطق بعض القراء:

---

(٢٠) المرجع السابق، ص: ٢٣٤

يومنون في يؤمنون، وذيب في ذئب، وراس في رأس، ومنهم أبو عمرو بن العلاء "(٢١)

وهذا الإبدال من وجهة نظر القدماء قياسي لأن الهمزة وقعت ساكنة بعد متحرك فتبدل بصوت حركة ما قبلها وينظر إليه من وجهة نظر حديثة على أنه تخلص من الهمز، فلا وجود للقلب أو الإبدال(٢٢)، فتم التخفيف وفقا للبنية المقطعية التالية، ولنأخذ – مثلا- ذئب: ذِئْب (ص ح ص+ص ح ص)← ذِيْب (ص ح ح+ ص ح ص)، يلاحظ أنّ المقطع قبل التخفيف كان طويلا مغلقا فأصبح مع التخفيف طويلا مفتوحا.

ونحن بدورنا ندرس الإطالة من جانبين: جانب صوتي يتعلق بالسياق الصوتي الذي سقط فيه الصوت وعلة ذلك، وجانب صرفي يتعلق بعنصر التعويض ودوره في الإبقاء على بنية الكلمة ومظاهر الإطالة في العربية .

وعلى كل حال فالإطالة التعويضية تجسد عمليتين متداخلتين صوتيا، لا يمكن الفصل بينهما إلا أنه لا يمنع دراسيا من وصف التغيير الذي طرأ على الكلمة قد تمَّ على مرحلتين منفصلتين:

الأولى: سقط فيها الصامت.

والثانية: خَلَفه في الموقع إطالة تعويضية.

وهنا نتساءل هل هو مجرد سقوط للصامت ولا علاقة له بعنصر الإطالة، أم أنهما مرتبطان ببعضهما ؟ومهما يكن الأمر فإن هناك توجهين للإطالة التعويضية في علاقتها بالحذف(٢٣):

أولهما: أنّ عملية الحذف مستقلة عن الإطالة ولا علاقة بينهما، بل يذهب أصحاب هذا التوجه إلى إنكار العلاقة ومن الأدلة التي يقدمها أصحاب هذا الاتجاه التحول الحادث في الصامت إلى صوت آخر انزلاقي، وتحوله في بعض الأحوال من صوت صامت معقد إلى صوت

---

(٢١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٩٠

(٢٢) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص: ١٠٩

(٢٣) ينظر: Darya Kavitskaya. Compensatory lengthening Page1

انفرادي، وواضح هذا من خلال التغير في بنية المقطع الصوتي فالبنية المقطعية الجديدة تختلف عن البنية المقطعية الأصلية، كما هو في المقطع (ص ح ص← ص ح ح).

ثانيهما: هناك من يرى أن عمليتي الحذف والإطالة مرتبطتان ببعضهما، وهذا ما تتبناه معظم النماذج الفونولوجية الصوتية التي تطورت بناء على افتراض أن هنالك علاقة أو ارتباطا بين فقدان عنصر والإطالة، بدليل أن العنصر التعويضي يساوي من ناحية زمنية العنصر المحذوف، ثم انتقال بعض العناصر الفونولوجية(الخصائص الصوتية)من المحذوف إلى العنصر الذي حل محله .

واضح أن هذين الرأيين المتعارضين لكل منهما ما يدعمه من الأدلة، وكل منهما ينظر للعلاقة بينهما من زاوية معينة، حتى ولو كانت زاوية النظر واحدة إلى حد ما، فهما مختلفان، وأعني هنا البنية المقطعية للصيغة قبل التحول مثلا كانت(ص ح ص) وبعد التحول مع الإطالة أصبحت (ص ح ح)، فالبنية المقطعية مختلفة نعم لكنها متحدة من ناحية زمنية، ويلاحظ هنا أنّ اللغة سعت للمحافظة على بناء الكلمة من خلال الالتزام بكمية المقطع دون النظر إلى نوعه، ففي كلتا الحالتين المقطع طويل، لكن الاختلاف في نوعية المقطع، ففي الصيغة الأولى المقطع طويل مغلق، وفي الثانية طويل مفتوح، وبما أن المسألة أشبه بالجدلية فلن نتوقف عندها إلا بحدود ما يهمنا، وهنا نشير إلى أن العنصر الصامت الساقط له أحوال وسياقات متعددة:

الحالة الأولى: سقوط الصامت غير المتحرك، وهنا جاءت إطالة للحركة السابقة واضحة كما في (راس).

الحالة الثانية: سقوط الصامت المتحرك، وحالته هل هو سقوط للصامت بنواته أم فقط للصامت دون نواته؟

وحقيقة ما نلمسه من ناحية صوتية مقطعية أنه سقوط للصامت دون نواته، والذي يدعم هذا التوجه أنّ الهمزة حين تتحرك بعد ساكن إذا سقطت حلت محلها الحركة القصيرة بعدها - كما في سقوط الهمزة في مثل الأرض، وإن لم يشتمل على الإطالة كما يلي:

الأرض: (ال)ص ح ص+(أ)ص ح ← (ا)ص ح+(لَر)ص ح ص

وأتصور أنّ الهمزة نعم سقطت لكن موقعها بقي من ناحية بنائية ومقطعية يحتاج إلى ما يشغله، فحلت الفتحة القصيرة محل الهمزة في (لَر) للمحافظة على موقعية الهمزة، وإن لم تكن موجودة، وبذلك بإمكان ابن اللغة من خلال إحساسه اللغوي تلمس الهمزة عند سقوطها.

ومما يدعم هذا التوجه كذلك سقوط الصامت دون نواته: أنّ مجيء الهمز في كثير من أنماط اللغة من مثل (الضألين)إنما هو تنصيف للحركة الطويلة إلى حركتين قصيرتين، وما حدث هنا عكس ذلك تماما، فسقوط الصامت بشكل عام-وإن كان هنا الهمزة لان الإطالة أوضح ما تكون في الهمزة، وإن شملت كثيرا من أصوات العربية-نتج عنه توحد الحركتين القصيرتين في حركة طويلة واحدة، بمعنى أن الحركتين التقتا، ومن هنا يمكن الحكم أنّ الإطالة التعويضية عبارة عن حركتين التقتا حلتا محل الصوت الساقط متمثلة بحركة طويلة في الصيغ التي يكون فيها الصامت الساقط في البنية العميقة متحرك ومسبوق بحركة، وواضح هذا في الهمزة المتحركة وما قبلها متحرك (قرَأَ)، فإن الحركتين القصيرتين تتصلان بحيث تصبحان حركة طويلة، وهذا ما يفسر ما ذهب إليه شاهين من تحول النبر الهمزي إلى طولي وهو ما سنأتي إليه لاحقا.

وهذا نمط آخر يمكن إضافته للإطالة فهي ليست مقتصرة على مد أو مطل الحركة السابقة للصامت الساقط، فقد تأتي على شكل التقاء حركتين قصيرتين تصبحان حركة طويلة بعد سقوط الصامت، حيث تتحول البنية المقطعية على النحو الآتي: ملأ (سقوط الهمزة)(ص ح +ص ح + * ح) ← ملا(ص ح + ص ح ح)

ولا يمنع كل ذلك من افتراض سقوط الصامت مع نواته ثم إطالة للحركة السابقة دون عدها التقاء للحركتين قياسا على حالة سقوط الصامت غير المتحرك: رأس (ص ح ص + ص ح) ← راس(ص ح ح+ ص ح)، وهنا جاءت إطالة للحركة السابقة واضحة حيث تتحول البنية المقطعية على النحو الآتي كما في المثال السابق:

ملأ (سقوط الهمزة مع نواتها)(ص ح +ص ح + *) ← ملا(ص ح + ص ح ح)

ومهما يكن الأمر، فهناك اعتباران لتفسير طبيعة ظهور الحركة الطويلة:

١-تظهر نتيجة إطالة للحركة السابقة من المقطع السابق بعد سقوط الصامت إن كان ساكنا، أو بعد سقوط الصامت وحركته.

٢-أو نتيجة التقاء حركتين قصيرتين تولد اجتماعهما حركة طويلة بعد سقوط الصامت والإبقاء على حركته (نواته)، وتشكيل حركة طويلة من الحركة السابقة للصامت الساقط وحركة الساقط في بعض السياقات، لكن إن كان الصامت الساقط غير متحرك أصبحت إطالة واضحة للحركة السابق القصيرة، فالحركة الطويلة هنا لم تنشأ تعويضا عن الصامت المحذوف، وإنما تشكلت من التقاء الحركتين القصيرتين أو إطالة للحركة السابقة .

وبطبيعة الحال لن يكون هناك أدنى علاقة بين الإطالة والصامت المحذوف؛ لسبب بسيط أنه من ناحية مقطعية تمثل الإطالة نواة للمقطع السابق (مَلَأَ) للصامت الساقط، أو إطالة لقاعدة الجزء الأول من المقطع(رأْس) في البنية السطحية، ولا يمكن أنّ تكون قاعدة للمقطع أو تنفرد بتشكيل مقطع مستقل.

ومهما يكن الأمر فمن الواضح أنّ الحذف في بناء الصيغ أو الألفاظ عما هي عليه في الأصل يؤدي إلى خلل في الأبنية والمفردات أو لبس بينها، فهنا تضطر اللغة إلى التعويض بصور متعددة، منها: التعويض بالتضعيف والتعويض بالهمز والتعويض بإقحام صوت علة أو التعويض بالإطالة، وما يهمنا هنا من هذه الأنواع الإطالة التعويضية أو التعويض الإيقاعي بطول الحركة، والمقصود به المرحلة التالية للحذف، فهناك نوعان من السياق الصوتي حذف ثم تعويض أو حذف دون التعويض، كل ذلك لتشعر أنّ ثمة ما هو محذوف.

الإطالة التعويضية من ناحية صوتية وعضوية:

يمكن التعرف على طبيعة الإطالة من ناحية صوتية وعضوية من خلال الوقوف بداية على طبيعة الفرق بينها وبين الحركة القصيرة، ثم من خلال مقارنتها بالصوامت .

فالقدماء يرون أنّ الفرق بين الحركات القصيرة والحركات الطويلة (حروف المد) يكمن في الكمية فقط، ولا يوجد فرق بينهما من الناحية العضوية، فهم يرون أنّ الحركات القصيرة أبعاض حروف المد[٢٤]يقول ابن جني: "أنهن(حروف المد) توابع للحركات ومتنشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة"[٢٥]

أما المحدثون فلهم آراء متعددة في ذلك، فهناك من يرى أنّ الفرق في الطول أو مقدار الزمن الذي يستغرقه كل منهما في النطق به في الثانية، وأبرز من يمثل هذا الرأي أنيس، فكيفية النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المد"[٢٦]، فالحركة إذا أطيل زمن النطق بها صارت حرف مد، إذ يستغرق النطق بالألف والياء والواو (الحركات الطويلة) ضعف الزمن الذي يستغرقه النطق بالفتحة والكسرة والضمة [٢٧]

وهناك من ذهب من المحدثين إلى أنّ الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة ليس فرقا في الكمية فحسب، ولكنه فرق كمي وكيفي في آن معا، إذ ذهب سعد مصلوح إلى أنّ موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين مختلف قليلا عن موضع الصوت الآخر[٢٨] فاللسان عند نطق الحركة القصيرة يكون أخفض مما يكون عليه عند نطق الحركة الطويلة[٢٩].

وهكذا نرى أن زمن النطق بالحركة يطول ويقصر، فالحركة القصيرة إذا أطيل زمن النطق بها تصبح حركة طويلة (مدا)، ولعل أبرز

---

(٢٤) سر الصناعة، ابن جني، الجزء الأول ص: ٢٣.

(٢٥) المصدر السابق ، الجزء الأول ص: ٢٣.

(٢٦) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس .ص: ٣٩٠.

(٢٧) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهر (١٩٨٧) ص: ٣٨٦

(٢٨) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ٢٨٢

(٢٩) الأصوات اللغوية رؤية عضوية نطقية وفيزيائية، سمير استيتية، دار وائل، عمان: (٢٠٠٣)ص: ٢٥٣

الفروق بينهما يكاد يكون في الكمية، وهو ما يكاد يجمع عليه القدماء والمحدثون، أو على الأقل هو يلمسه الناطق باللغة.

أما ما تتميز به الحركات القصيرة أو الطويلة عن غيرها من الأصوات الصوامت فهي كالأتي:

أولا: مرور الهواء من الفم حرا طليقا في أثناء النطق بها دون عائق أو مانع يقطعه أو تضييق لمجراه (٣٠)

ثانيا: الحركات أقوى الأصوات وضوحا في السمع، وأتتها من قبيل عدم الاحتكاك الذي تتميز به عند النُّطق بها مما جعلها أصواتا موسيقية قابلة للقياس، خالية من الضوضاء، لها القدرة على الاستمرار (٣١)

ولاجتماع هاتين الميزتين جَعَلَها أيسر الأصوات وأسهلها على الجهاز النطقي للمتكلم باللغة، الَّذي يميل بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، والميل مع ما تقتضيه قوانين التطوّر اللغوي، وأبرزها قانون السهولة والتيسير، فهو لهذا يميل إلى استِبدال السهل من أصوات اللغة بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر، وكل هذا يفسر سبب التخلص من الصوامت واجتلاب الإطالة الصوتية .

وثمة تساؤل مطروح للنقاش من خلال مقارنة الصيغتين: الأصلية والجديدة المشتملة على الإطالة، وهو هل ننظر إلى الإطالة على أنها قيمتان مختلفتان صوتيا - لأنها كما أشرنا قد تكون حركتين قصيرتين التقتا أو حركة قصيرة تم إطالتها - كما هو الحال في الصيغة الأصلية المكونة من قيمتين مختلفتين، والإجابة بكل بساطة بالنفي.

والسبب واضح ننظر إليها في البنية العميقة على أنها قيمتان مختلفتان، لكن في البنية السطحية أصبحت قيمة واحدة، ومما يؤكد ذلك قصة أبي إسحاق الزجاج مع خصم ادعى له أنه يجمع في كلامه بين

---

(٣٠) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٧٩).ص: ٣٧، علم الأصوات، كمال بشر.ص: ٢١٧، الأصوات اللغوية، غالب المطلبي.ص: ٢٤

(٣١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص: ٣١،، علم الأصوات، كمال بشر.ص: ٢١٨

ألفين(اجتماع الفتحتين الطويلتين)وطوَّل الرجلُ(الصوت بالألف)فقال له أبو إسحاق: لو مددتها إلى العصر لما كانت إلا ألفا واحدة (٣٢)

والخفة المتأتية في الكلمة من كونها كانت تشتمل قبل الإطالة على قيمتين مختلفتين، وهي الهمزة قاعدة المقطع، والفتحة التي تشكل نواة للمقطع كما في (مَلَأَ)، فأصبحت قيمة صوتية واحدة وهي تتمثل بالإطالة، فصوتا الهمزة والفتحة يمثلان قيمتين مختلفتين، والذي حدث أنّ سقطت الهمزة، وهذه المرحلة الأولى من مراحل التغير .

وزيدت في مدة الفتحة السابقة شيئا قليلا، إذا افترضنا سقوط المقطع كاملا أو التقت فتحتان بحيث أصبحت طويلة، فما كان هنا هو استبدال حركة طويلة بالهمزة والفتحة معا، وربما ميل اللغة لطلب التخفيف وسهولة النطق هو الذي يفسر اجتلاب الحركة الطويلة لما تتميز به من مميزات كما رأيناه فيما سبق.

والبحث بدوره ينظر إليها في ضوء المفهوم السابق بعد سقوط الصامت أو إضعافه من جهتين:

١-جهة سقوط الصامت أو إضعافه وما يخلفه من تكون فراغ بنائي ومقطعي، ولا بد من ملء الفراغ لأنه ذو قيمة لغوية للمحافظة على بنية الكلمة والمقطع، وإبعاد الصيغة عن اللبس، فمثلا من وجهة نظر مقطعية تحول المقطع في (رَأْس) من طويل مغلق إلى طويل مفتوح، وفي (مَلَأَ) من قصير مفتوح إلى طويل مفتوح، كالآتي:

(رَأْ) ص ح ص ← (رَ*) ص ح ← (را) ص ح ح

(لَأَ) ص ح +ص ح ← (لَ*) ص ح+* ح ← ص ح ح(لَا) .

٢- فالفراغ تم ملؤه بحركة طويلة وهو ما يدعى ب(الإطالة) فالطول في الحركات مد، فالصوائت الطويلة فيها تساوي صائتين قصيرين، فالإطالة صائت طويل يكتب ألفا أو واوا أو ياء، وهذا معنى التحليل الفونولوجي لكلمتي مثل: (رَأْس) و(مَلَأَ)، وعكسها قصر بمعنى

(٣٢) ينظر: الخصائص، الجزء الثاني ص: ٤٩٢

حركة، إذن كل هذا التعويض رغبة في ملء الفراغ الذي يحصل في بناء الكلمة، ومما يلاحظ أنّ (ملأ) تتوالى فيها ثلاث مقاطع صوتية قصيرة (ص ح)وهو جائز مستساغ في الكلام العربي إلا أنّ اللغة تميل في تطورها للتخلص من تواليه(٣٣) وهو ما نجده في تحولها من (ملأ) إلى (ملا) التي اندمج المقطعان الأخيران في مقطع واحد (ص ح ح).

وحقيقة مثل هذا التغير الصوتي مع الصوت الصامت يباين كل المباينة الوضع الذي تؤول إليه بنية الكلمة بعد التغير، فصوت اللين أو المد أو الإطالة "يستلزم أنّ يكون معه مجرى الهواء حرا طليقا، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أنّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما يليه انفراجها فجأة "(٣٤) وكذلك مع الصوامت الأخرى إذ يستلزم النطق بها الانطباق بين الأعضاء النطقية أو الاحتكاك .

وينبغي أنّ نشير إلى أنّ طبيعة اللغة ونسج كلامها يوجب الحرص على بناء الكلمة، وأن أدى التغير إلى حذف بعض الأصوات، ومن هنا كانت الإطالة كعنصر تعويضي للحرص على بنية الكلمة من جهة والإبقاء على إيقاع من جهة أخرى، ومن خلال التعرف على الصوت الجديد يمكن الحكم بأنه تم الاحتفاظ ببنية الكلمة، وذلك من خلال مقارنته بوضعها في الأصل، ثم من خلال المقطع الصوتي، وواضح أنّ المقطعية تسمح بمثل هذه التحول بما أنهما مقطعان متساويان في الكمية: (ص ح ص/ص ح ح) كما في" رأس"، فالنتيجة النهائية ثبت إيقاع الكلمة، وتحققت الصيغة.

إن مسألة حذف الصامت وخصوصا الهمزة والتعويض بحركة طويلة من أبرز المسائل التي يختلف توصيف القدماء وتفسيرهم لها عن المحدثين، فالقدماء يعدونها من باب الإبدال أو القلب (٣٥)، في حين يذهب المحدثون إلى أنها حذف للهمزة وإطالة للصوت ؛لعدم وجود المبرر

---

(٣٣) الأصوات اللغوية، أنيس إبراهيم، ص: ٩٣

(٣٤) المرجع السابق ص: ٨٦

(٣٥) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس.ص: ١٥٤.

الصوتي ؛لأنه يشترط في الإبدال التشابه الصوتي بين المبدل والمبدل منه "لا يكون الإبدال إبدالا حقا إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة "(٣٦) والذي ننتهي إليه أنّ الألف حركة طويلة لا توصف بزيادة أو قلب أو أصالة؛ بل هي نتيجة مطل للفتحة القصيرة بعد حذف صامت (حرف)وهكذا سائر المدود.

فمثلا الهمزة حرف صحيح، وليس معتلاً كما تصوره الأقدمون، فما حدث أنه سقط الصامت، فجاءت إطالة الصوت، أما نتيجة مد الحركة السابقة لها بعد سقوط الهمزة فتتكون حركة طويلة أو التقاء حركتين قصيرتين متماثلتين، قال كانتينو: "وإذا وقعت الهمزة بين حركة وحرف...تخفف، بل قد تسقط أيضاً وتمد الحركة التي قبلها"(٣٧)

ويرى عبد الصبور شاهين أنه: حين تسقط الهمزة في بعض المواقع تطول الحركة التي تقع موقعها (٣٨)واستدل بروايات عديدة"على أنّ الهمزة ليست في الواقع سوى فاصل بين عنصرين حركيين لضرورة نبرية، ولكنهما سرعان ما يتصلان عند زوال هذه الضرورة، وسقوط الهمزة لسبب ما"(٣٩) وتوصل من الروايات الشاذة لآيات قرآنية كثيرة إلى أنّ للنبر صور في لغة العرب منها: أنّ النبر يتخذ صورة الطول في الحركة، وقد يتخذ صورة تضعيف الصوت وغيرهما (٤٠)

وينبغي الإقرار أنّ هنالك سياقات صوتية متعددة، سياقات تلزم الناطق أنّ يتعامل معها بطرق مختلفة، وهنا واضح أنّ الذي دفع الناطق إلى إضعاف بعض الأصوات أو إسقاطها هو السياق الصوتي للكلمة، إذ حدث في بعضها محذور صوتي كما هو مع التقاء الهمزتين، أو للتقليل من الجهد العضلي المبذول، وهو ما سنأتيه في موضعه

---

(٣٦) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص: ٧٣

(٣٧) دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية(١٩٦٦)ص ١٢٧

(٣٨) ينظر: القراءات القرآنية ص: ١٤٨ – ١٥٩ .

(٣٩) المرجع السابق . ص: ١٧٤

(٤٠) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة، عبد الصبور شاهين، ص: ١٧٣ – ١٧٤ .

صورتا الإطالة التعويضية في العربية:

ومن هنا فقد وجدنا صورتين للإطالة التعويضية في العربية تبعا للأصوات التي تحدث لها على النحو الآتي:

١- الإطالة التعويضية في الكلمات المهموزة، وهي تشمل

أ) الإطالة التعويضية في الهمزة المفردة.

يمكن القول أنّ من أبرز ما يصدق عليه في تمثيل ظاهرة الإطالة التعويضية مسألة التخلص من الهمز، إما بتسهيلها أو إبدالها التي تمثل مظهرا من مظاهر اللهجة الحجازية، كما تخلصت منها بعض اللهجات العربية الحديثة، وجاءت بعض القراءات القرآنية التي تتفق مع هذا التخفيف في حين أنّ تحقيقها خاصة من خصائص لهجات نجد وعموم القبائل البدوية (٤١)، ولا يعني ذلك انعدام الهمزة في لهجة الحجاز"فأكثر الهمزات كانت لا تنطق في لهجة الحجاز إلا ما كان منها في أوائل الكلمات، وبعض ما وقع منها بين حركتين، وبعض لهجات نجد خالفت لهجة الحجاز في ذلك فبقيت أكثر الهمزات فيها سالمة على حالها "(٤٢)

ولقد أحس سيبويه بجهد الهمزة في أثناء النطق بها فوصفها بأنها: "نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجا، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع"(٤٣) ووُسمت بالتهوع؛ لأن في النطق بها صعوبة ومشقة فتحتاج إلى جهد ومبالغة عند النطق بها، يقول الاستراباذي: " اعلم أنّ الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق، ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها، فخففها قوم وهم أكثر أهل الحجاز، ولا سيما قريش ...وحققها غيرهم والتحقق هو الأصل

(٤١) في اللهجات العربية .إبراهيم أنيس، ص: ٦٧

(٤٢) التطور النحوي، برجشتراسر، ص: ٤٠

(٤٣) الكتاب، سيبويه، الجزء الثالث ص: ٥٤٨

كسائر الحروف"(٤٤) وتكاد الروايات تجمع على أنّ التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم في حين أنّ القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مدّ"(٤٥)، واضح أنّ الهدف من التخلص من الهمزة التخفيف من الجهد العضلي عند النطق بالهمزة، لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير"(٤٦)

وحقيقة الأمر أنه لعدم وجود القرابة الصوتية بين الهمزة والحركات الطوال (الألف والواو والياء)، كان منطلق تفسيرنا: بأن الهمزة سقطت، وجاءت الحركة الطويلة كنتيجة لإطالة الحركة السابقة، وبالتالي حلت موقع الهمزة للمحافظة على الصيغة، يقول عبد الصبور شاهين" ولا مانع في رأينا من حذف صوت ليقع آخر موقعه، ولكن لا على سبيل الإبدال، لأن الإبدال بكافة معانيه يتطلب قرابة صوتية هي هنا معدومة، بل على سبيل التعويض، مجرد التعويض الموقعي الذي تقتضيه وظيفة الصوت في الدلالة أو غيرها، وربما كان ذلك لدى من يهمزون حفاظا على سلامة النظام المقطعي (٤٧)

وحتى تكون الأمور أكثر وضوحا، فالهمز له حكمان: التحقيق والتخفيف، وفي تخفيفها ثلاثة أوجه: الإبدال والحذف، وأن تجعل بين بين، أي بين مخرج الهمزة وبين مخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة (٤٨) فالإبدال "بأن تزيل نبرتها فتلين، فحينئذ تصير إلى الألف أو الواو أو الياء حسب حركتها وحركة ما قبلها ...أما الحذف فأن تسقطها من اللفظ ألبتة، وأما جعلها بين بين: أي بين مخرج الهمزة والحرف الذي منه

---

(٤٤) شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده، الأستراباذي(رضي الدين محمد)، حققها وضبط غريبها: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٢)الجزء الثالث ص: ٣١

(٤٥) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص: ٦٧

(٤٦) لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية: مكتبة الزهراء، القاهرة، ص: ٥١

(٤٧) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص: ٨٨

(٤٨) شرح المفصل، ابن يعيش، الجزء الخامس ص: ٢٦٥

حركتها، فإذا كانت مفتوحة بين الهمزة والألف، وإذا كانت مضمومة بين الهمزة والواو، وإذا كانت مكسورة بين الياء والهمزة "(٤٩)

ومن هنا جاء التصرف بالهمزة بالحالات الثلاثة السابقة، ولذلك جاءت عند القدماء أحكام قياسية مطردة للهمزة، ونركز هنا على حكمين من أحكامها يتصلان بالإطالة التعويضية، عرضها القدماء لتخفيف الهمزة أو إبدالها نذكرهما بقليل من التفصيل:

أولا: ما يهمنا بداية الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها، ففي هذه الحالة ينظر إلى حركة ما قبلها، ويجري تخفيف الهمزة في هذه الحالة قياسيا على النحو الآتي: فإن كانت فتحة صارت الهمزة ألفا، وإن كانت ضمة صارت الهمزة واوا، وإن كانت كسرة صارت الهمزة ياء، وهذا الذي يسميه نحاة العربية بإبدال الهمزة ألفا أو واوا أو ياء .

وهنا تأتي الإطالة التعويضية في صورتها متجانسة مع الحركة السابقة للهمزة، فبعد سقوط الهمزة يعوض موقع الهمزة بإطالة الحركة السابقة عليها، بحيث تصبح - مثلا - الفتحة ألفا، فقد ذكر سيبويه بعض الأمثلة التي تمثل الإطالة التعويضية في الهمزة المفردة، وفي ذلك يقول: "وإذا كانت الهمزة ساكنة قبلها فتحة فأردت أنّ تخفف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في (رَأْس) و(بَأْس) و(قَرَأْت): (رَاس) و(بَاس) و(قَرَات)(٥٠)، فمثلا في(رَأْس) ما حصل أنه عندما سقطت الهمزة أصبح المقطع مفتوحا: رَ(ص ح) أطيلت الفتحة لتصبح طويلة فتحول المقطع من طويل مغلق في الأصل (ص ح ص) إلى طويل مفتوح (ص ح ح).

إذن هذا الإسقاط أو الإضعاف للهمزة يخل ببناء الكلمة مما يدفع إلى التعويض عن طريق إضفاء نوع من الإطالة للمقطع السابق لموقع الهمزة، وإجراء تعديل على المقطع بدفعة مدية وانطلاقة مضاعفة للحركة علها تعوض الجزء الساقط من بنية الكلمة، وهو ما عبر عنه عبد

---

(٤٩) المصدر السابق، الجزء الخامس ص: ٢٦٥

(٥٠) الكتاب، سيبويه، الجزء الثالث ص: ٥٤٣

الصبور شاهين بنبر الطول"وفيها ما عوض فيه عن حذف الهمزة بطول الحركة السابقة عليها "(٥١)

وقد تكون الإطالة التعويضية بإطالة الضمة بحيث تصبح واوًا (ضمة طويلة)بعد سقوط الهمزة، وفي هذا يقول سيبويه"ما قبلها (الهمزة) مضمومًا فأردت أنّ تخفف أبدلت مكانها واوًا، وذلك قولك في(الجُؤْنة)و(البُؤْس)و(المُؤْمن): (الجُونة)و(البُوس) و(المُومن)(٥٢)

وقد تكون الإطالة التعويض بإطالة الكسرة فتصبح ياءً(كسرة طويلة)"وإذا كان ما قبلها مكسورًا أبدلت مكانها ياءً...وذلك الذِئْب والمِئْرة: ذِيْب ومِيْرة، وإنما تبدل مكان كل همزة ساكنه الحرف الذي منه الحركة التي قبلها، لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها (٥٣) وكل هذه الحالات جرى تخفيف الهمز فيها على القياس .

وقد يكون التعويض في الهمزة المتحركة وقبلها ساكن صحيح بإسقاط الهمزة والإبقاء على حركتها، فيتم إطالة هذه الحركة بحيث تصبح ألفا، وفي هذا يقول سيبويه: "ومثله قولك في المرْأَة: المرَة، والكمْأَة: الكمَة، وقد قالوا: الكَمَاة والمَرَاة"(٥٤) وكان الكسائي والفراء يَطرُدان ويقيسان عليه(٥٥)، ويفهم من كلام سيبويه أنّ هناك اتجاهين في حذف الهمزة للتخفيف:

١- حذفها نهائيا وإلقاء حركتها على الساكن قبلها كما في المَراة: المَرَة.

٢- نقل حركتها إلى الساكن قبلها، وقلب الهمزة إلى ألف كما في الكَمَأة: الكَمَاة وقد عبر عنه سيبويه بالقليل، ونصفه بحذف الهمزة مع الإبقاء

---

(٥١) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص: ١٥١

(٥٢) الكتاب، سيبويه،، الجزء الثالث ص: ٥٤٣

(٥٣) المصدر السابق، الجزء الثالث ص: ٥٤٤

(٥٤) المصدر السابق، الجزء الثالث ص: ٥٤٥

(٥٥) شرح المفصل، ابن يعيش، الجزء الخامس ص: ٢٧١

على الفتحة لكن مع إطالتها، وهذه الأحكام تنطبق على المتصل، فالمنفصل كالمتصل في هذا التخفيف (٥٦).

ولا بأس هنا من إيراد بعض الأمثلة من القراءات القرآنية على الإطالة التعويضية في الهمزة المفردة الساكنة، وعليه جاءت قراءة من أهم قراءات القرآن الكريم، وهي رواية "ورش" وقد اشتهر ورش بتسهيل كل همزة ساكنة نحو قولك: تأخذ ويأكل ويؤمن والمؤمنون "(٥٧) فتسقط الهمزة ثم تطال الحركة السابقة وتصبح: تاخذ وياكل ويومن والمومنون.

وكان أبو عمرو يلتزم بالتخفيف إذا قرأ في الصلاة أو أدرج القراءة أو قرأ بالادغام بحيث يسقط الهمزة، وهذ أكثر ما يظهر مع الهمز الساكن المفرد إذ يبدله حرف علة من مثل: يؤمنون–يؤفكون– يؤلون-المؤتفكات-بئسما... وما أشبه فينطق مكان الهمزة في هذه المواضع إطالة من جنس حركة ما قبل الهمزة، فاختار لها حكما ينزع إلى تخفيفها إشاعة للانسجام في قراءته(٥٨)

وكذلك إذا توقفنا على التغيرات الصوتية للهمزة في قراءة حمزة نجد أنّ من بين الأحكام التي تهمنا أنه إذا كان الهمز ساكنا وقبله متحرك نحو: "اقرأ"(٥٩) و" نَبِّيءْ عبادي"(٦٠) و"المؤمن" (٦١) فحينئذ يبدل حمزة الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها فيقف على اللفظ: اقرا، ونَبِّي، والمومن (٦٢)، ومن ذلك قراءة الأعمش: "مَنْسَاته"(٦٣) بفتح الميم وتخفيف

(٥٦) المصدر السابق، الجزء الخامس ص: ٢٦٦

(٥٧) الهمزة دراسة صوتية تاريخية، صلاح الدين صالح حسنين، ص: ٢٩١-٢٩٢

(٥٨) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين ص: ١٠٩

(٥٩) العلق . آية ١-٣

(٦٠) الحجر. آية ٤٩

(٦١) البقرة . آية: ٢٢١

(٦٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد)، نشره علي الضباع: دار الفكر، بيروت، الجزء الأول ص: ٤٣٠

(٦٣) سبأ . آية ١٤

الهمزة قلبا وحذفا (٦٤)وهي في حفص "منْسَأَته" بكسر الميم وهمزة(٦٥)، وقرأ شيبة: "أنبيهم"(٦٦) بالياء وضم الهاء ورويت عن حمزة في الوقف (٦٧)وهي عند حفص أنْبِئْهم بسكون الهمزة (٦٨).

ثانيا:، يذكر ابن يعيش أنّ قوما من العرب يبدلون من الهمز المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفا، فيقولون في سَأَل: سَال، ومن المضمومة المضموم ما قبلها واوا، مثل: رُؤُوس: رُوُوس، ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء، مثل: من عبدِ إبراهيم: عبد اِبراهيم، وذلك شاذ ليس بمطرد(٦٩).ولنأخذ بعض الأمثلة قول الفرزدق:

راحتْ بمَسْلمةَ البِغال عَشِيّة فارْعيْ فَزارةُ لا هناكِ المَرْتَعُ(٧٠)

"هنَأَكِ" حيث قلبت الهمزة ألفا، وينشدون قول حسان بن ثابت في حذف الهمزة:

سَالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا جَاءَتْ وَلَمْ تُصِبِ(٧١)

---

(٦٤) شواذ القراءات، الكرماني(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر)، تحقيق شمران العجلي: مؤسسة البلاغ، بيروت.ص: ١٩٧، البحر المحيط، أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٣)، الجزء السابع ص: ٧٢٦

(٦٥) معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الطبعة الأولى، دار سعد الدين،، القاهرة (٢٠٠٠)، الجزء السابع ص: ٣٤٦

(٦٦) البقرة . آية ٣٣

(٦٧) شواذ القراءات، الكرماني، ص: ٢٣

(٦٨) معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الجزء الأول، ص : ٧٧

(٦٩) شرح المفصل، ابن يعيش،، الجزء الخامس ص: ٢٧٤

(٧٠) السابق، الجزء الخامس ص: ٢٧٥

والشاهد فيه قوله: (سَالَتْ)؛ حيث حذف الشاعر الهمزة منه للتخفيف؛ لأن الأصل (سَأَلَتْ)، فخفَّفه بإبدالها ألفًا فعندما سقطت الهمزة أصبح المقطع الطويل المغلق سأ(ص ح ص)مقطعا طويلا مفتوحا(ص ح ح)بعد التقاء الحركتين القصيرتين على شكل إطالة.

وجاءت بعض القراءات القرآنية التي تتفق مع هذا التخفيف، وهو ما يسمى كذلك بتسهيل الهمزة، وهذا ما جرت عليه لغة الحجاز، جاء في قراءة الأزهري والأشهب والحسن: "إلى بَارِيكم "[٧٢]بغير همز[٧٣] وهي في حفص: إلى بَارِئِكم بالهمزة المكسورة [٧٤]ويلاحظ أنّ ما قبل الهمزة حركة قصيرة وما بعدها حركة قصيرة مماثلة حيث سقطت الهمزة وعوض موقعها بالطول[٧٥].

في حين التخفيف القياسي من ذلك كله: أنّ تنطق الهمزة (بين بين)، فالهمزة المفتوحة وقبلها فتحة تنطق بين الهمزة والألف، والهمزة المضمومة المضموم ما قبلها تنطق بين الهمزة والواو، والهمزة المكسورة المكسور ما قبلها تنطق بين الهمزة والياء"وذلك بأن تضعف صوتها ولا تتمة فتقرب الهمزة حينئذ من الألف في الحالة الأولى، ومن الواو في الحالة الثانية، ومن الياء في الثالثة [٧٦].

---

(٧١) الكتاب، سيبويه، .الجزء الثالث ص: ٤٦٨، ٥٥٤، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية، ، بيروت (١٩٩٨) الجزء الأول ص١٧٤، البحر المحيط، أبو حيان،، الجزء الأول ص ٣٨٠

(٧٢) البقرة . آية ٥٤

(٧٣) البحر المحيط، أبو حيان،، الجزء الأول ص: ٢٠٦، ابن خالوية، الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالوية(الحسين بن أحمد)، عنى بنشره برجشتراسر، دار الهجرة، بيروت، ص٥، معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الجزء الأول ص: ١٠١

(٧٤) المصدر السابق، الجزء الأول ص: ٢٠٦

(٧٥) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص: ١٣٨

(٧٦) المرجع السابق، ص: ١٠٠

وحتى تتم مناقشة المسألة من جوانبها المتعددة كان لا بد أنّ نتوقف عند أحد قراء القراءات القرآنية، وقد وقع الاختيار على قراءة الزهري لسبب بسيط أنه يمثل لهجة الحجاز، وقد تجلَّت فيها ظاهرة الإطالة التعويضية في تسع مواضع معتمدين في رصدنا لهذه القراءات على كتب القراءات القرآنية(٧٧).

ومن الضروري أنّ نشير إلى أنّ تقسيمنا للقراءات سيكون تبعا لنوع الإطالة التي تخلفت عن سقوط الهمزة، إذ أضحى من المعلوم أنّ الإطالة ثلاثة أنواع بناء على العنصر الذي يحل محل العنصر الساقط، والذي يتشكل بالترافق مع إسقاط الصامت أو إضعافه، فعنصر التعويض يتمثل في شكل إطالة على صورة فتحة طويلة (aa) أو كسرة طويلة (ii) أو ضمة طويلة(uu) مقارنة بقراءة حفص الشائعة التي عرف عنها أنها تلتزم التحقيق(٧٨).

ومن خلال التمعن في القراءات التي جاءت بالإطالة التعويضية عند الإمام الزهري فإن مما يمكن ملاحظته أنّ الإطالة اقتصرت على صورتي الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة، أم الضمة الطويلة فلم نعثر على مثال عنده يمثلها، ربما كان ذلك لقلة الأنماط التي يمكن أنّ نعثر عليها على هذه الصورة في الأصل، وهو حقيقة ما لمسناه، إذ لم نعثر إلا على كلمة واحدة في قراءة الأشهب والحسن البصري: "ثم سُولُوا " بوزن قُولُوا(٧٩)، وهي في حفص "ثم سُئِلُوا "(٨٠)بضم السين وكسر الهمزة .

ونقصر الحديث في قراءة الزهري على أحكام الهمزة المفردة من حيث التخلص منها، وهو ما عرف بإبدال الهمزة قديما أو الإطالة التعويضية في دراستنا أما أحكام الهمزتين فلن نشير إليه والسبب واضح لانعدام صوره فيما نقل إلينا من قراءة الزهري.

---

(٧٧) هي: المحتسب لابن جني، وشواذ القراءات للكرماني، ومختصر في الشواذ لابن خالوية، والبحر المحيط لأبي حيان، ومعجم القراءات القرآنية الخطيب.

(٧٨) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي – أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، ص: ١٠٩

(٧٩) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السابع ص٢١٩، شواذ القراءات، الكرماني، ص: ١٩٣

(٨٠) الأحزاب . آية ١٤

وعلى كل حال فيمكن إدراج الإطالة التعويضية عنده في طائفتين:

الطائفة الأولى: إطالة تعويضية على صورة الفتحة الطويلة

١-قرأ الزهري قوله تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أنّ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً"(٨١) خَطَا مقصورا خفيفا بغير همز، وكذلك قرأ أبو جعفر(٨٢)وهي عند حفص" خَطَأً " بالهمزة منصوبا، علق ابن جني على قراءة الزهري بقوله: " يجوز أنّ يكون أبدل الهمزة على حد قَرَيْتُ، فجرى مجرى عصا ومطا"(٨٣).

٢-قرأ الزهري قوله تعالى: "إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيرًا "(٨٤) خِطا بكسر الخاء والتنوين غير ممدود، وكذلك قرأ أبو رجاء (٨٥) وهي عند حفص "خطَئا" بالهمزة منصوبا، وقراءة الزهري تخفيف الهمزة فانقلبت ألفا(٨٦).

٣-قرأ الزهري قوله تعالى: "وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً"(٨٧): "مُتَّكَا" مشدد التاء من غير همز بوزن متَّقى، وهي قراءة أبي جعفر وشيبة كذلك، وهي عند حفص"مُتَّكَأً" بالهمزة منصوبا، ويذكر أبو حيان لقراءة الزهري احتمال أحد وجهين: "أحدهما: أنّ يكون من الاتكاء، وفيه تخفيف الهمز كما قالوا في توضَّأت: توضَّيت، والثاني: يكون مُفْتعلا من أوكيت السِّقاء إذا شددته ؛أي: أعدت لهن ما يستندن عليه، إما بالاتكاء، وإما بالقطع بالسكين"(٨٨) وشبيه من ذلك ما ذكره ابن جني(٨٩).

---

(٨١) النساء . آية ٩٢

(٨٢) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الثالث ص: ٣٢١ المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني الجزء الأول ص ١٩٤، شواذ القراءات، الكرماني، ص: ١٤١

(٨٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، الجزء الأول ص: ١٩٤

(٨٤) الإسراء . آية ٣١

(٨٥) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السادس ص: ٣٢، شواذ القراءات، الكرماني ص: ١٣٧

(٨٦) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السادس ص: ٣٢

(٨٧) يوسف . آية ٣١

(٨٨) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الخامس ص: ٣٠٢

٤-قرأ الزهري قوله تعالى: "أولم يروا كيف يُبْدِئ الله الخلق ثم يعيده"(٩٠) يَبْدَا بألف وبغير همز(٩١)وهي عند حفص: " يُبْدِيء "(٩٢) يُبْدِئ مضارع أبدأ.

وقراءة الزهري: يبدا بغير همز مضارع بدأ(يبدأ) الثلاثي، مع إبدال الهمزة ألفا، ويذكر ابن جني أنه: "قد أُبدلت الهمزة المفتوحة التي قبلها فتحة ألفًا أيضًا على غير قياس، وإنما يحفظ حفظًا، أنشدنا أبو علي:

إذا مَلأَ بطنَهُ ألبانُـها حَلَـبًا باتت تُغَنيه وَضْرَى ذاتُ أَجْراسِ

يريد: إذا ملأ بطنه، فأبدل الهمزة ألفًا، (٩٣)".

٥-قرأ الزهري قوله تعالى: " فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ"(٩٤)بدا بتخفيف الهمزة بإبدالها ألفا(٩٥)، وهي في قراءة حفص: " بَدَأَ ".

٦-قرأ الزهري قوله تعالى: " وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ"(٩٦) بدا بالألف بدلا من الهمزة (٩٧)، وقرأ حمزة في الوقف بدا كقراءة الزهري (٩٨)، وقرأ الجمهور: بَدَأَ بالهمز.

قال أبو حيان تعليقا على قراءة الزهري: "وليس بقياس أنّ يقول في هدأ: هدا، بإبدال الهمزة ألفا، بل قياس هذه الهمزة التسهيل بين بين ؛ على أنّ الأخفش حكى في قرأت: قريت ونظائره، وقيل: هي لغية،

---

(٨٩) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني الجزء الأول ص: ٣٣٩-٣٤٠

(٩٠) عنكبوت. آية ١٩

(٩١) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، الجزء الثاني، ص: ١٦١

(٩٢) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه(الحسين بن أحمد) تحقيق عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثالثة: دار الشروق،، بيروت (١٩٧٩).ص: ٢٧٩

(٩٣) سر الصناعة، ابن جني، الجزء الثاني ص: ٦٦٦ ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الجزء الثاني ص: ١٦١ -١٦٢

(٩٤) العنكبوت. آية ٢٠

(٩٥) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الثاني ص: ١٤١: -١٤٢

(٩٦) السجدة . آية ٧

(٩٧) شواذ القراءات، الكرماني ص: ٣٨٠، البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السابع ص١٩٩

(٩٨) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري،، الجزء الأول ص: ٤٣٠-٤٣١

والأنصار تقول في بدأ: بدِي بكسر عين الكلمة وياء بعدها، وهي لغة لطيء، يقولون في فعل هذا نحو بقي: بقى، فاحتمل أنّ تكون قراءة الزهري على هذه اللغة أصله بدِي، ثم صار بدا، أو على لغة الأنصار، وقال ابن رواحة

باسْمِ الإلَهِ وبه بَدِينا ولو عَبَدْنَا غيرَه شَقَيْنَا "(٩٩)

قال ابن جني: "ترك الهمزة في هذا عندنا على البدل، لا على التخفيف القياسي ... ولو كان التخفيف قياسيا لجعل الهمزة بين بين، أي بين مخرج الهمزة وبين مخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة، فقال "بدا" ولو أسندت الفعل إلى نفسك على التخفيف القياسي قلت: بدات بألف لا همز في لفظها، وعلى البدل: بديت كما حكي عنهم قريت"(١٠٠)

٧-قرأ الزهري قوله تعالى: " "كَمَا بَدَأَكم تَعُودُونَ "(١٠١)بداكم بغير همز(١٠٢)، وهي عند حفص كما "بَدَأَكم"بالهمزة المفتوحة.

ومن القراءات التي جاءت بالإطالة على شكل فتحة طويلة عند غير الزهري: قراءة السلمي: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قوم"(١٠٣) بغير همز ومد(١٠٤)وهي عند حفص "شَنَآنُ"، وكذلك قراءة عبد الله بن مسعود ونافع وابن عامر وأبي بن كعب وابن عباس وأبو جعفر والأعرج: "سأل سائل بعذاب "(١٠٥) سال بإبدال الهمزة ألفا على غير قياس، وقد حكاه سيبويه وهي لغة قريش، فالهمزة أصلية على لغتهم، والألف بدل، وقال العكبري: فيه ثلاثة أوجه أحدها: هي بدل من الهمزة على التخفيف، والثاني هي

(٩٩) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السابع ص: ١٩٤

(١٠٠) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني الجزء الثاني ص: ١٧٣

(١٠١) الأعراف . آية ٣٠

(١٠٢) شواذ القراءات، الكرماني.ص: ١٨٥

(١٠٣) البقرة . آية ٥

(١٠٤) شواذ القراءات، الكرماني.ص: ٦٧

(١٠٥) المعارج. آية ١

بدل من الواو على لغة من قال هما يتساولان، والثالث هي من الياء من السيل "(١٠٦)

الطائفة الثانية: إطالة تعويضية على صورة الكسرة الطويلة:

١-قرأ الزهري قوله تعالى: "إلى بارِئِكم "(١٠٧) بالياء بغير همز(١٠٨)وهي عند الأشهب ونافع كذلك، وهي في حفص: إلى بارِئِكم بالهمزة المكسورة (١٠٩)ويلاحظ أنّ ما قبل الهمزة حركة قصيرة وما بعدها حركة قصيرة مماثلة حيث سقطت الهمزة وعوض موقعها بالطول(١١٠).

٢-قرأ الزهري: "ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا"(١١١) "سِيلوا" من غير همز بوزن قِيلُوا، وهو مخفف"سِئِلوا بكسرتين "، وكذلك قرأها أبو عمرو والأعمش والحسن(١١٢)، وهي في حفص"سُئِلُوا" بضم السين وكسر الهمز.

٣-قرأ الزهري قوله تعالى: "كما سُئِل موسى من قبل"(١١٣) "سِيل" بكسر السين وسكون الياء، وكذلك قرأها الحسن وأبو السمال(١١٤)، وهو مخفف
"سِئِل بكسرتين كما في القراءة السابقة، وقد تكون لغة يقال: سِلْتُ أسال، وقد يكون من باب إبدال الهمزة ياء على غير قياس ثم كسرت السين

---

(١٠٦) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الثامن ص: ٣٣٢

(١٠٧) البقرة. آية ٥٤

(١٠٨) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص: ٢٠٦، مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه ص: ٥، معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الجزء الأول ص: ١٠١

(١٠٩) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص٢٠٦

(١١٠) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين .ص: ١٣٨

(١١١) الأحزاب. آية ١٤

(١١٢) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السابع ص٢١٩ شواذ القراءات، الكرماني.ص: ١٩٣

(١١٣) البقرة . آية ١٠٨

(١١٤) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص: ٣٤٦

"(١١٥)، وفي قراءة حفص وابن عامر"كما سُئِل موسى من قبل "بضم السين وكسر الهمزة، والمخفف هو "سِئِل "بكسرتين(١١٦)

ومن القراءات التي جاءت بالإطالة على شكل كسرة طويلة عند غير الزهري قراءة الحسن والأعرج سِيلت في قوله تعالى: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ"(١١٧) بكسر السين على لغة من قال "سال"بغير همز(١١٨)وهي في حفص "سُئِلَتْ" بضم السين وكسر الهمزة، والمخفف هو سِئِلت بكسرتين، وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة"نَبِّىءْ عِبَادِي"(١١٩)"بغير همز بياء ساكنة (١٢٠)وهي في حفص "نَبِّىءْ "بسكون الهمزة.

فهذه قراءة الزهري بالنسبة للهمزات التي حدث فيها الإطالة التعويضية بالفتحة الطويلة والكسرة الطويلة، ومما يمكن ملاحظته:

اتبع الزهري في قراءته ما ألمح إليه ابن يعيش من أنّ قوما من العرب يبدلون من الهمز المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفا، فيقولون في سأل: سال .. ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء (١٢١).

ونشير هنا إلى أنّ التخفيف القياسي من ذلك كله أنّ تنطق الهمزة (بين بين) فالهمزة المفتوحة وقبلها فتحة تنطق بين الهمزة والألف، وكذلك من المكسورة المكسور ما قبلها تنطق بين الهمزة والياء، وما تحقق هنا إنما هو حمل على قياس الهمزة الساكنة كما في رأس وذئب وجؤنة حيث تقلب حرفا من جنس حركة ما قبلها،، يقول سيبويه في وصف همزة (بين بين) "اعلم أنّ كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة،

---

(١١٥) المصدر السابق، الجزء الأول ص: ٣٤٦

(١١٦) شواذ القراءات، الكرماني ص: ٧٣، البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص: ٣٤٦

(١١٧) التكوير. آية ٨

(١١٨) شواذ القراءات، الكرماني.ص: ٢٦٠ البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الثامن ص: ٤٣٣

(١١٩) الحجر. آية ٤٩

(١٢٠) شواذ القراءات، الكرماني. ص: ١٢٩

(١٢١) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص١٠٠

فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي، لأنك تقربها من هذه الألف، وذلك قولك: سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم، وقد قرأ قبل بين بين....فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه، فإنما جعلت هذه الحروف بين بين، ولم تجعل ألفات ولا ياءات ولا واوات، لأن أصلها الهمز، فكرهوا أنّ يخففوا على غير ذلك، فتحول عن بابها فجعلوها بين بين، ليعلموا أنّ أصلها عندهم الهمز، وإذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها كسرة أو ضمة فهذا أمرها أيضاً "(١٢٢)

أما الوصف العلمي للهمزة عند المحدثين فلها صورة واحدة فحسب، هي ما أطلق عليه المحدثون (الحبسة الحنجرية)، فإذا اختل أداء هذه الحبسة فقدت الهمزة وجودها، فقد نفى عبد الصبور شاهين همزة "بين بين"علميا، إذ اثبت في دراسته للماجستير ببعض التجارب المعملية أنّ (بين بين)، ليس في الواقع سوى حركة(١٢٣) وقال أيضا: " نستطيع أنّ نقرر أنه ليس للهمزة سوى حالة واحدة، هي حالة أدائها أداء كاملا.... وليس من الصواب: أنّ يقال: هذه همزة مسهلة أو هذه بين بين، أو هذه همزة مقلوبة هاء، إذ لا وجود في الواقع للهمزة في هذه الحالات حيث أنّ وضع الحنجرة قد تغير إلى وضع آخر غير وضع الهمزة "(١٢٤)

هذا وقد سبقه إبراهيم أنيس إلى هذه الحقيقة، إذ قال: " أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً، وإذا صح النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة وراءها حركة، فالذي نسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة "(١٢٥)

---

(١٢٢) الكتاب، سيبويه، الجزء الثالث ص: ٥٤١

(١٢٣) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ص: ١٠٥ .

(١٢٤) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، ص: ١٦٨ .

(١٢٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٧٣

ويرى رمضان عبد التواب أنّ قبائل الحجاز أسقطت الهمزة من نطقها فتلتقي الحركات، ولا يتحقق إلا إذا سكت الناطق سكتة لطيفة بين الحركتين "فإنه إذا كانت الهمزة متحركة وقبلها متحرك نتج عن سقوط الهمزة التقاء حركتين حركتها وحركة ما قبلها، فمثلا سأل sa>ala" تتحول إلى: saala، وسُئِل su>ila تتحول إلى: suila.....ولا يتحقق هذا الالتقاء إلا إذا سكت الناطق سكتة لطيفة بين الحركتين، وقد وضح كل ذلك ماريوباي، فقال: اجتماع حركتين(hiatus) معناه أنّ تتوالى حركتان من غير توسط صامت بينهما، ومن غير تحويلهما إلى حركة مركبة (Dipthong) وفي هذه الحالة يتطلب الموقف وقفة خفيفة بين الحركتين، لينطق كل منهما على حده، ويسبب هذا صعوبة للمتكلم، الذي يجب عليه أنّ يقطع مجرى نفسه، ثم يستأنفه مرة أخرى"(١٢٦)

وعلى كل حال فإن المحدثين يجمعون على أنّ الهمزة تمثل الوقفة الحنجرية، أو التردد الحنجري، إلا أن ما يطلق عليه همزة (بين بين) لا تمثل أيا من الوقفة الحنجرية، أو التردد الحنجري فمن هنا يمكن إخراجها من باب الهمز مفهوما، وما حدث انتفاء للهمزة بحيث لم يبق لها أثر في الكلمة، وبعد سقوط الهمزة حدث تتابع للحركتين يضطر الناطق للسكوت بينهما حتى يظهرهما نطقا، وأن همزة بين بين ليس لها من صفة الهمزية إلا على اعتبار ماكان، أو ارتباط موقع السكتة اللطيفة بها، أو إحلالها محل الهمزة فتظهر وكأنها شبه همزة لغير المدقق بها، ولا تدرك إلا بالمشافهة وهو ما ألمح إليه القدماء"ولا تتبين إلا بالمشافهة "(١٢٧) وفي رأينا ينبغي أن نميز بين حالتين مختلفتين في نظرتنا إلى الهمزة تبعا لتماثل الحركة السابقة للهمزة واللاحقة لها أو اختلافهما:

الحالة الأولى: السكتة اللطيفة وتتمثل حين تكون الحركتان السابقة واللاحقة للهمزة مختلفتين، لأنه من الصعوبة على اللسان تحقيق الصورة النطقية للحركتين المختلفتين بصورة متصلة فكان لا بد من السكتة بينهما .

(١٢٦) مشكلة الهمزة، رمضان عبد التواب، ص: ٢٨.

(١٢٧) الكتاب، سيبويه، الجزء الرابع ص: ٤٣٢

والثانية: الحركة الطويلة وتتمثل حين تكون الحركتان السابقة واللاحقة للهمزة متماثلتين (فتحتان أو ضمتان أو كسرتان) فما يحدث هنا التقاء لهما لتشكيل حركة طويلة، ولا تغير في وضع اللسان سوى الاستمرار بعض الوقت في وضع اللسان حتى تظهر الحركة الطويلة، وهنا لا داعي للسكتة بينهما، وهو ربما ما يفسر رأي ابن يعيش المتمثل بإبدال الهمز المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفا، فيقولون في سأل: سال .. ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياء، مثل: من عبدِ إبراهيم: عبد اِبراهيم، وهو ما نجده عند الإمام الزهري.

فقد جاءت الهمزة مفتوحة ومسبوقة بمفتوح في قراءة الزهري التالية: "إِلَّا خَطَأً" و"كيف يبدا الله الخلق "و"وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَا" و" فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَا الْخَلْقَ و"وَبَدَا خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ "و"كَمَا بَدَاكُمْ تَعُودُونَ"، والتحليل الصوتي لها أنّ سقوط الهمزة تبعه التقاء حركتين قصيرتين فتوحدت في حركة طويلة، ونتيجة لذلك حدث تحول في البنية المقطعية على النحو الآتي:

خَطَأ (ح ص+ص ح+ص ح) ← خَطَا (ح ص+ص ح ح)

يُبْدِئ (يبدأ) (ص ح ص+ص ح+ص ح) ← (يَبْدَا) (ص ح ص+ص ح ح)

مُتَّكَأ (ص ح ص+ص ح+ص ح +ص ح) ← مُتَّكَا (ص ح ص+ص ح+ص ح ح)

بدَأ (ص ح +ص ح+ص ح) ←)بَدَا) (ص ح +ص ح ح)

وقد أدى هذا إلى إعادة الترتيب المقطعي للكلمة فبعد أنّ كانت تتشكل من ثلاثة مقاطع كما في (خطا،، وبدا)أدى سقوط الهمزة إلى اختصار المقاطع إلى مقطعين: قصير وطويل مفتوح، بعدما كانت مكونة من ثلاثة مقاطع كلها قصيرة:

(ص ح) + (ص ح)+ (ص ح) ← (ص ح) + (ص ح ح) .

أما كلمة(يبدأ) فتحول المقطع من ثلاثة إلى اثنين: (ص ح ص) + (ص ح)+ (ص ح) ←(ص ح ص) + (ص ح ح)

أما كلمة(متّكا) فتحول المقطع على النحو الآتي:
(ص ح ص) + (ص ح)+ (ص ح) + (ص ح) ← (ص ح ص) + (ص ح)+ (ص ح ح).

وبقي النبر كما هو دون أنّ ينتقل لكن الذي تغير تحول النبر من نبر التوتر إلى نبر الطول، وهذا من قبيل تسهيل الهمزة الذي هو طريقة لبعض العرب، وهو ما توقف عنده بعض الباحثين العرب، فالهمزة قد سقطت حين لم يسغ نطقها لم يجد مفراً من تعويض موقعها المنبور بنوع آخر من النبر مماثل، يقول عبد الصبور شاهين عن الإطالة هنا: "فان السياق الصوتي هنا قد اقتضى منه أنّ يطيل المقطع المنبور كطريقة للوفاء بوظيفة النبر في نسق الكلام"(١٢٨) فالهمزة ليست سوى صورة وظيفية يمكن اللجوء إليها، ويمكن الاستعاضة عنها بصورة أخرى .

والقراءة الوحيدة التي تمثل الهمزة المتحركة وقبلها ساكن قراءته: "خِطْئاً" بكسر الخاء والتنوين غير ممدود، وهي عند ابن جني تخفيف الهمزة فانقلبت ألفا، وبناء على رأي سيبويه حذفت الهمزة للتخفيف بنقل حركتها إلى الساكن قبلها، وقلب الهمزة إلى ألف ومثله قولك في المَرْأَة: المرَة، ويمكن أنّ نصفه بإسقاط الهمزة والإبقاء على حركتها، فيتم إطالة هذه الحركة بحيث تصبح ألفا .

أما قراءة الزهري: "سِيلوا"من غير همز، فإننا نعدها على أساس أنه مخفف "سِئِلوا "، وكذلك الأمر بالنسبة لقراءته: "سِيل"على اعتبار أنه مخفف "سِئِل"، وهاتان القراءتان نتعامل معهما على أساس لهجي في تحقق التماثل بين الحركة السابقة واللاحقة، ومن ذلك "سِيلت بكسر السين على لغة من قال "سال"بغير همز، فسقوط الهمزة عوض عنه فيها بطول الحركة حيث اتحدت حركتان قصيرتان (الكسرتان)، نتج عنهما حركة طويلة فجاءت الإطالة على شكل كسرة طويلة، حيث جاءت فيها الهمزة مكسورة ومسبوقة بمكسور، ونتيجة لذلك صارت الكلمة مكونة من مقطعين قصير وطويل:

---

(١٢٨) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين، ص: ١٥٨

"سِئِل"(ح ص+ص ح+ص ح) ← "سِيل" (ص ح ح+ص ح)، هذا إذا اعتبرنا سِيل مخفف سِئِل و سِيلوا مخفف سِئِلوا.

أما إذا اعتبرنا أنّ "سِيل" الأصل فيها "سُئِل" فإنه في هذه الحالة توصف الهمزة بوقوعها بين حركتين قصيرتين متخالفتين، وبعد سقوطها غلب أحد العنصرين نظرا لاختلاف الحركتين(١٢٩) فما قبل الهمزة مضموم وما بعدها مكسور، فغلبت الكسرة بعد سقوط الهمزة، ثم طولت لتصبح حركة طويل أي عوض موقع الهمزة بنبر الطول، وهو هنا تطويل الحركة اللاحقة للهمزة في الأصل-وهو ما يفسر مذهب الأخفش في قلب الهمزة المكسورة وقبلها ضمة ياء، وكان قياس مذهبه قلب الهمزة المكسورة وقبلها ضمة "سُئِل" ياء كالمضمومة وقبلها كسرة،، ويذكر ابن يعيش رأي الأخفش في ذلك، يقول: "وفيما كان قبلها كسرة نحو: يستهزئون، ومن عندِ أمك ...كان الأخفش يقلبها ياء إذا كان قبلها كسرة، ويحتج بأن همزة بين بين تشبه الساكن للتخفيف الذي لحقها، وليس في الكلام كسرة بعدها واو ساكنة، قال فلو جعلت بين بين لنحى بها نحو الواو الساكنة وقبلها كسرة، وهو معدوم "(١٣٠)على النحو التي:

سُئِل ← سُ ِل ← سِ ِل ← سِيل

وقد تغلَّب الضمة كما جاءت في بعض القراءات القرآنية كما في قراءة الحسن (١٣١)ثم سُولُوا بوزن قولوا (١٣٢) وهي في حفص "ثم سُئِلُوا" بضم السين وكسر الهمزة - وهذه القراءة تمثل الإطالة التعويضية على صورة الضمة الطويلة -حيث تسقط الهمزة، وبالتالي يحدث التقاء حركتين قصيرتين متخالفتين فيتولد(huats) فيسقط الجزء الثاني منه على طريقة من ألغى العنصر الثاني من المزدوج (١٣٣)، وتطول الحركة

(١٢٩) المرجع السابق، ص: ١٥٨

(١٣٠) شرح المفصل، ابن يعيش،، الجزء الخامس ص: ٢٧٢

(١٣١) الأحزاب . آية ١٤

(١٣٢) شواذ القراءات، الكرماني ص: ١٩٣، البحر المحيط، أبو حيان، الجزء السابع ص: ٢١٩

(١٣٣) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين، ص: ١٥٩

الأولى أو أنّ الهمزة سقطت مع حركتها ثم طولت الحركة الأولى(سُئِلوا ← سُولُوا).

ولابن جني رأي في هذا لا يعدو الأمر عنده عن كون لغة بل هو أقل اللغات، يقول: "وأقيس اللغات في هذا عند إسناد الفعل إلى المفعول سِيلوا كعِيدوا ...ولغة أخرى هنا وهي إشمام كسرة الفاء ضمة، فيقال: سِيلوا كقُيل وبُيع، واللغة الثالثة: سُولوا كقولهم قُول وبُوع ، وقد سُورَ به، وهو على إخلاص ضمة فُعِل، إلا أنه أقل اللغات " (١٣٤)

إذن تواجهنا في قراءة الزهري أهم الظواهر اللغوية للبيئة الحجازية التي كان ينتمي إليها ألا وهي ظاهرة: إبدال الهمز مما يعكس تأثير بيئته اللغوية في اختياراته، وكان الزهري نشأ في بيئة الحجاز وقد قرأ على شيوخ حجازيين فتأثر في اختياراته بالسمات اللهجية للقبائل الحجازية (١٣٥)وواضح في قراءة الزهري ما تميل إليه لهجة الحجاز عن لهجة تميم من محاولة الابتعاد عن الثقل في نطق الأصوات، وتتجلى في التخلص من الهمز أو ما يسمى بإبدال الهمزة عند القدماء للاقتصاد في الجهد العضلي .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ الإطالة التعويضية هنا ارتبطت بالنبر stress فطالت الحركة بعد سقوط الصامت، فأصبح المقطع منبورا دون أنّ يحدث تغير في المعنى، وهو ما توقف عنده بعض الباحثين العرب، فالهمزة قد سقطت حين لم يسغ نطقها لم يجد الناطق مفراً من تعويض موقعها المنبور بنوع آخر من النبر، وهو نبر الطول من مثل: "رأس"نبر الهمز تحول إلى نبر الطول "راس"، يقول عبد الصبور شاهين عن الإطالة هنا: "فان السياق الصوتي هنا قد اقتضى منه أنّ يطيل المقطع المنبور كطريقة للوفاء بوظيفة النبر في نسق الكلام"(١٣٦)، ويقول كذلك "أما نبر الطول فلا شبهة في حجازيته، وكذلك كثير من الصور التي سقطت فيها الهمزة، وانتقل النبر إلى مقطع آخر، ومن الأمثلة التي

---

(١٣٤) المرجع السابق .ص: ١٥٩

(١٣٥) ينظر: صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ص: ٣٤-٣٤٥

(١٣٦) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين ، ص: ١٥٨

ذكرها سيبويه: رَاس وذِيب وجُونة ومَرة وكَمَة، وأيضا مَرَاة وكَمَاة، وفيها ما عوض فيه عن حذف الهمزة بطول الحركة السابقة عليها "(١٣٧)

وهكذا وجدنا في لسان أهل الحجاز مستويات من النبر، ولذلك كان بعض قبائل العرب يحبذ الحركات الطوال كأسلوب من أساليب النبر"فهم حين اجتمعت في الكلمة (حركة قصيرة + همزة) في مثل رأس وذئب أسقطوا الهمزة التي لا تناسب نبرهم، ولجأوا إلى أنّ يعوضوا موقعها بوساطة نبر الطول، فنطقوا الكلمتين: راس وذيب، محققين بذلك هدفين:

أولهما: نبر المقطع ذاته بطول الحركة، وثانيهما: الاحتفاظ بالإيقاع المقطعي أعني زنة الكلمة كما لو كانت مهموزة (١٣٨).

فاللهجة الحجازية تجتنب تحقيق الهمز أوالنطق بالهمزة، بصفتها أداة فعالة في النبر في مواضع كثيرة من كلامها، وتعتمد أساليب أخرى للنبر تعويضاً عن أسلوب النبر بالهمزة، ومن هذه الأساليب مد أو مطل الحركة السابقة للهمزة المحذوفة .

وجاء تسهيل الهمزة في الأنماط السابقة اقتصاداً في الجهد العضلي وخضوعا لقانون السهولة والتيسير، كما أنّ الهمزة جاءت في آخر الكلمة، وهي في هذه الحالة أكثر عرضة للتحول والتغير منها لو جاءت في بداية الكلمة أو في وسطها سعيا نحو الخفة والاقتصاد في الجهد، يقول الطيب البكوش: "فإذا وقعت الهمزة أخيرا يستثقل نطقها إذا كانت ساكنة، إذ يميل النطق إلي الارتخاء في أواخر الكلمات بينما نطق الهمزة يحدث توترا في مستوى الحلق، فإنها وإن رسمت دوما تسقط غالبا (١٣٩)، وهو ما ظهر من خلال حديثنا عن النظام المقطعي أنّ الصوت يكون أكثر

---

(١٣٧) المرجع السابق، ص: ١٥١

(١٣٨) المرجع السابق، ص: ١٠٩-١١٠ .

(١٣٩) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، الطبعة الأولى، تقديم صالح القرمادي، (١٩٨٧)ص: ١٢١

تعرضا للحذف والتأثر حين يكون نهاية مقطع، وهو أكثر ثباتا في موقعه حين يكون بداية مقطع (١٤٠)

ومما لا شك فيه أنّ الإطالة في هذه الأنماط اللغوية وإن اختلفت طبيعة النبر وتحوله فيها من نبر الهمز إلى نبر الطول ما هو إلا تصحيح لبنية الكلمة، فالتقابل حاصل بين الصيغتين أوبصورة أدق بين صورة الإطالة أو الصورة الأصلية لعدم تغير المعنى.

ب) الإطالة التعويضية في الهمزتين المتتاليتين:

إذا صح لنا المقارنة في الإطالة التعويضية بين الصوامت العربية، فإننا نقول بكل اطمئنان أنّ مجال الإطالة التعويضية في الهمز أوسع منها في الصوامت الأخرى، إذ تحدث في الهمزة بكثرة إذا التقت همزتان في كلمة واحدة وأقل منها بقليل في الهمزة المفردة، لذا كثيرا ما ترد الإطالة التعويضية في باب الهمزتين المتتاليتين في كلمة واحدة والذي تتحول منهما الثانية لأنها سبب الثقل في النطق، فهنا تجتمع همزتان في بداية الكلمة، وهذا لا تجيزه العربية"(١٤١)

ويلاحظ في هذه الأنماط اللغوية أنّ الجزء الذي تحل فيه الإطالة هو بالتأكيد الجزء الذي سقط أي: (الهمزة الثانية)، لأن مجيء الإطالة التعويضية "إجراء للهروب من صعوبة النطق، وإنما جاءت هذه الصعوبة من الهمزة الثانية فكانت موضع التغيير"(١٤٢)

وتأتي صورة الهمزتين على أشكال ثلاثة: أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، ولا تغير يذكر في نطق الهمزتين في الحالتين الأخيرتين(١٤٣)، أما الهمزتان -في أول الكلمة - فتأتي على صورتين:

الصورة الأولى: تتمثل في تحرك الهمزة الأولى بالفتحة أو الضمة أو الكسرة وسكون الثانية، والتحول الصوتي في هذه الحالة قلب الهمزة الثانية حرف علة من جنس حركة ما قبلها في تصور القدماء، بمعنى أنّ

---

(١٤٠) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين ص: ١٦٩

(١٤١) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٤١

(١٤٢) المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، ص: ١٨٣

(١٤٣) المرجع السابق، ص: ١٨٢

تبدل الهمزة الثانية ألفا مع الهمزة الأولى المفتوحة، وتبدل الهمزة الثانية واوا مع الهمزة الأولى المضمومة، وأن تبدل الهمزة الثانية ياء مع الهمزة الأولى المكسورة، قال الأخفش "إذا اجتمعت همزتان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة منها أبدا "(١٤٤).

وهذا واضح في الأفعال الثلاثية مهموزة الفاء إذا ما بني منها المضارع على صيغة أَفْعل، مثل: أَخَذ وأَكَل، فإننا نحصل على أَأْخذ وأَأْكل فيحصل هنا حذف للهمزة الثانية، ويعوض عنها بمد حركة الهمزة الأولى تعويضا، فتصبح الأفعال: آخذ وآكل(١٤٥)كما هو واضح كذلك في المضارع المبدوء بهمزة المتكلم في المهموز الفاء كما في "أمن "نقول: أُومن، والأصل: أُأْمن .

يقول ابن جني: "ومتى كانت الهمزة ساكنة مفتوحًا ما قبلها غير طرف، فأريد تخفيفها أو تحويلها أبدلت الهمزة ألفًا أصلاً كانت أو زائدة، فالأصل نحو قولك في (أَفْعَلَ) من (أمِنَ): (آمَنَ) وأصلها (أَأْمَنَ) فقلبت الثانية ألفًا لاجتماع الهمزتين وانفتاح الأولى وسكون الثانية(١٤٦)

والحال هي نفسها في المصدر تكون حركة الهمزة الأولى كسرة من هذا الفعل- وهذا يمثل اجتماع همزتين ساكنة فمكسورة قال ابن جني: "ومتى اجتمعت همزتان وانكسرت الأولى منهما قلبت الثانية ياء ألبتة، وكان البدل لازمًا، وذلك قولك: إيْمان، وإيْلاف، وأصله: إئْمان، وإئْلاف، فقلبت الثانية ياء ألبتة لانكسار ما قبلها، ولم يجز التحقيق لاجتماع الهمزتين، فقس على هذا"(١٤٧)

وهذا التغير عربي مطّرد قياسي عندهم؛ فلذلك سماه ابن جني لازمًا، قال: "واعلم أنّ هذا الإبدال على ضربين: أحدهما لا بدّ منه، والآخر منه بُدٌّ، فأمّا ما لا بُدّ منه فأن تلتقي همزتان الأولى مفتوحة

---

(١٤٤) معاني القرآن، الأخفش (سعيد بن مسعدة)، تحقيق هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤١١-١٩٩٠)، الجزء الأول، ص: ٣٢

(١٤٥) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٤٢

(١٤٦) سر الصناعة، ابن جني، الجزء الثاني ص: ٦٦٤-٦٦٥.

(١٤٧) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص: ٧٣٨.

والثانية ساكنة، فلا بُدّ من إبدال الثانية ألفًا، وذلك نحو آدَمَ، وآخَر، وآمَنَ، وآوَى، وآساس جمع أُسّ... فهذا إبدال لازم كراهية التقاء الهمزتين في حرف واحد"(١٤٨)

وحقيقة الإجراء الصوتي لما يحدث هنا هو إسقاط للهمزة الثانية وإطالة لحركة الهمزة الأولى بحيث تصبح حركة طويلة (aa) (uu) (ii) على النحو الآتي:

أَمن(>inma) ← والأصل أَأْمن(>a>inm) ← (آمن)(>anmaa)

أَمن(>inma) ← والأصل أُؤْمن(>u>inm) ← أوْمن(>inmuu)

أَمن(>inma) ← والأصل: إئمْان (> i> aanm) ← إيْمان(>aanmii)

واضح أنّ التتابع الصوتي جرى على النحو الاتي: أَأْ ←آ <a>←>aa<"(١٤٩) وقيس على ذلك ما تبقى من حالات .

وكذلك الأمر في مثل بناء أَفْعَل من الأسماء المهموزة الفاء نحصل على صيغة مبدوءة بهمزتين مثل: أَأْدم من الأُدْمَة، وكذلك آخر من التأخُّر فأبدلوا من الثانية ألفا محضة، وذلك لسكونها وانفتاح ما قبلها على حد فعلهم في رأس و فأس(١٥٠)، فهنا تجتمع همزتان في بداية الكلمة فتتخلص اللغة بإسقاط الثانية وهي سبب الثقل، فتصبح: آدم وأخر .

وما يحدث هنا هو إسقاط للهمزة الثانية وإطالة لحركة الهمزة الأولى، وهي الفتحة بحيث تصبح حركة طويلة (aa) فتصبح:

أَأْدم(>a>dam) ← آدم(>aadam)

والهمزة سقطت، وجاءت الإطالة التعويضية للمحافظة على التركيب المقطعي للكلمة:

---

(١٤٨) المصدر السابق ، الجزء الثاني، ص: ٦٦٥.

(١٤٩) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٤٢

(١٥٠) شرح المفصل، ابن يعيش، الجزء الثاني، ص٢٧٩

(أَأْ/دَم) ص ح ص/ ص ح ص ← (آ/دم) ص ح ح/ص ح ص

والحالة هذه تنطبق تماما على تكسير فَعَل المهموز الفاء على أَفْعَال نحو:

أَثَر ← أَأْثار ← آثار (١٥١)

وذهب برجشتراسر إلى أنّ حذف الهمزة في مثل: آرس وآبار مع مدّ الحركة قبلها خاص باللغة العربية لا يرقى إلى زمن أقدم من زمن افتراق العرب عن الأقوام السامية الشمالية(١٥٢) .

ويلاحظ هنا أنّ اللغة سعت للمحافظة على بناء الكلمة من خلال الالتزام بكمية المقطع دون النظر إلى نوعه، ففي كلتا الحالتين المقطع طويل، لكن الاختلاف في نوعية المقطع "وهذا النوع من التعويض الإيقاعي، يحافظ على كمية المقطع دون النظر إلى نوعه، فهو في كلتا الحالتين طويل، ولكنه في الحالة الأصلية مقفل (ص ح ص)، وفي البديلة مفتوح(ص ح ح)ولكن كمية الأصوات واحدة، فلذلك ثبت إيقاع الكلمة، وتحققت الصيغة المرادة "(١٥٣)

وكما قلنا سابقا فالقدماء يعدون مثل هذا الإجراء الصوتي قلب للهمزة الثانية حرف علة من جنس حركة ما قبلها، وهو ما لا يمكن وصفه بالقلب أو الإبدال بدليل ما تظهره الكتابة الصوتية للكلمات السابقة، وإنما هو مظهر من مظاهر الإطالة تعويضية -بعد سقوط الهمزة-ويمكن تبين التطور الصوتي للهمزتين إذا التقتا في حالة سكون الثانية على النحو الآتي:

أأ (<a>) ← آ(<aa>) و أأ (<i>) ← إي(<ii>) و أأ (<u>) ← أُو(<uu>)

(١٥١) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٤١

(١٥٢) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، . ص: ٤٢.

(١٥٣) المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، .ص: ١٨٣

وقال السيوطي في الإتقان: "اعلم أنّ الهمزة لما كانت أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا تنوع العرب في تخفيفه بأنواع التخفيف، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا؛ وذلك أكثر ما يرد من طرقهم تخفيفه"(١٥٤).

أما الصورة الثانية لاجتماع الهمزتين فمما نعثر فيه على سياق صوتي يمثل الإطالة التعويضية- تحرك الأولى والثانية معا-وقد ورد منها ما تكون الهمزتان فيه مفتوحتين كما في (أأنذرتهم)، وتقلب كما يرى بعض الصرفيين وبعض القراء ألفا، كما هي في قراءة ورش: "آنذرتهم "(١٥٥)من قوله تعالى: " أَنّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ "ولقد حمل الزمخشري بشدة على قراءة ورش هذه فطعن فيها، قال: " فإن قلت: فما تقول فيمن قلب الثانية ألفا؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين، أحدهما: الإقدام على جمع الساكنين على غير حده، وحده: أنّ يكون الأول حرف لين، والثاني حرفا مدغما نحو قوله: الضالّين، وخويّصة، الثاني: أخطأ طريق التخفيف، لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أنّ تخرج بين بين، فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رَأس "(١٥٦)

ودافع أبو حيان عن هذه القراءة فقد رد على تلحين الزمخشري بقوله: "وما قاله هو مذهب البصريين، وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون، وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب"(١٥٧)

يقول الشايب: "والذي يؤخذ على هذه القراءة فقط هو أنّ القارئ عمد إلى تشكيل مقطع طويل على غير الطريقة المعهودة في العربية،

---

(١٥٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، الجزء الثاني ص: ٦

(١٥٥) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص: ٤٧-٤٨ ، معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الجزء الأول: ٣٦

(١٥٦) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص: ٤٧-٤٨

(١٥٧) المصدر السابق، الجزء الأول ص٤٧

وهي باب شابّة ودابّة، أما ما زعمه الزمخشري والسلف بأنه جمع بين ساكنين على غير حده فغير صحيح، فليس هاهنا اجتماع ساكنين "(١٥٨)

وما يزعمه بأن تخفيف الهمزة المتحركة يكون بجعلها "بين بين" نقول: إن الهمزة حقيقة هنا سقطت فيعمد الناطق للسكوت على شكل وقفة لطيفة ليتمكن من نطق الحركتين متتابعتين وهو ما تم مناقشته سالفا، وواضح من هذه القراءة أنه سقطت الهمزة وتشكلت حركة طويلة من الحركتين القصيرتين بعد سقوط الهمزة.

وقرأ ورش قوله تعالى "وقالوا أألهتنا خير"(١٥٩)"آلهتنا"بهمزة وألف بعدها (١٦٠)، وهذا السياق هو ما حصل في السابق من سقوط الهمزة وتشكيل حركة طويلة من الحركتين القصيرتين لتتابعهما بعد سقوط الهمزة، فيكون السياق الصوتي (a>a<) قد تطور عنده إلى(aa<) قياسا على آدم وآخر (١٦١)

كما أن الإطالة تجري على الهمزتين اللتين يفصل بينهما صامت، من ذلك ضمير المتكلم المفرد أنا، فهو مركب من أنْ (an<) ومن الضمير المتصل المستعمل في المضارع، أي: أ(a<) ، وعليه فاصل الضمير المتكلم المفرد هو أنأ (an>a<) والعنصر أنْ هو لاحقة إشارية، وأما العنصر أَ (a<) فهو أصل الضمير (١٦٢)، وبسبب قرب الهمزتين خالفت العربية بينهما بحذف الهمزة الثانية وعوض عنها بمد حركتها فصار الضمير أنأ (an>a<)← أنا (anaa>) (١٦٣)

وكذلك الأمر بالنسبة لكل من آبار وآرام فهاتان الكلمتان اللتان هما تكسير ل: بئر ورئم، الأصل فيهما هو: أَبْئَار وأَرْءَام على وزن أَفْعال، فتقاربت الهمزتان في السياق، فخالفت العربية بينهما عن طريق حذف

---

(١٥٨) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب.ص: ٣٤٣

(١٥٩) الزخرف. آية ٥٨

(١٦٠) معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الجزء الثامن ص: ٣٩١

(١٦١) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٤٥

(١٦٢) التطور النحوي، برحشتراسر، ص: ٧٦

(١٦٣) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٤٥

الهمزة الثانية والتعويض عنها بمد حركة الهمزة الأولى، فتحولت أَبئار <ab>aar إلى: آبار<aabar>، وأرءام <ar>aam إلى: آرام <aaraam> (١٦٤).

وقد ذهب بروكلمان في تعليل هذه الظاهرة إلى القول أنه: "إذا توالى مقطعان، أصواتهما الصامتة متماثلة أو متشابهة جداً الواحد بعد الآخر في أول الكلمة، فإنه يكتفى بواحد منهما بسبب الارتباط الذهني بينهم "(١٦٥)

٢- الإطالة التعويضية بعد اختزال الصوت المشدد أو التخلص من أحد المثلين المتتابعين:

تكثر المخالفة الصوتية في الأصوات المشددة على صورة اختزال لها ثم التعويض بالإطالة، كما تحدث المخالفة الصوتية في المثلين المتتابعين وذلك بالتخلص من أحدهما والتعويض عنه بإطالة، فالمخالفة تحدث على صورتين هما:

الصورة الأولى: الإطالة التعويضية بعد اختزال الصوت المشدد

نحن ننطلق في تحليلنا في هذا إلى تسمية ما حدث بأنه اختزال، لأننا نعتقد أن المشدد من ناحية صوتية نطقية ما هو إلا صوت صامت طويل، والفرق بينه وبين الصامت المفرد إنما يكون في إطالة زمن النطق به، أي في إطالة زمن التقاء أو تقارب العضويين المكونين للصوت، فالمشدد يعادل صوتين، وذلك بتطويل زمن نطقه سواء أكان التقاء أو تقاربا للعضوين المكونين له، بيد أنه من حيث الوظيفة اللغوية يعد صامتين متتابعين نظرا لقيامه بوظيفة الصامتين في العربية(١٦٦)

تأتي الإطالة للحركة القصيرة التي قبل الصوت المشدد بعد اختزاله، وقد كان القدماء أشاروا إلى وجودها في اللغة العربية في ألفاظ كثيرة على أنها إبدال أو قلب، لعل أبرزها: دِنّار وقِرّاط بدليل الجمع دنانير وقراريط، يقول المبرد: " والدليل على أنّ هذا إنما أبدل لاستثقال

---

(١٦٤) المصدر السابق، ص: ٣٤٥

(١٦٥) فقه اللغات السامية، بروكلمان، ص: ٧٩

(١٦٦) ينظر: أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٥٨

التضعيف قولك: دينار، وقيراط، والأصل: دِنّار وقِرّاط، فأبدلت الياء للكسرة، فلما فرقت بين المتضاعفين رجع الأصل فقلت: دنانير وقراريط "(١٦٧)، وهي في رأينا اختزال للنون والراء(دِنّار وقِرّاط) وعوض عنهما بمد الكسرة التي قبلهما حتى أصبحت كسرة طويلة، وكذلك "دِيباج ودَبابيج، فدل قولهم: (دبابيج) بالباء على أنّ أصله (دِبّاج) وأنه إنما أبدل الباء ياء استثقالاً لتضعيف الباء"(١٦٨)، ومثلها: "يقولون: دِيوان أصله دِوّان "(١٦٩) لأنه يجمع على دَوَاوين خففت الواو وعوض عنها بمد الكسرة التي قبله حتى أصبحت كسرة طويلة .

ونجد هذا الاختزال طال الأدوات كما هو في إمّا وعوض عنه بالحركة الطويلة فقيل إيْما، وقد نص أبو جعفر النحاس على أن هذه هي لغة بني تميم وبني عامر، وينشدون قول سعد بن فرط الجذمي:

يا ليتما أمنَّا شَالت نعاتها إيما إلى جنَّة إيما إلى نار(١٧٠)

فالشاهد هو إيْما "إذ الأصل "إمَّا" اختزلت الميم وعوض عنا بإطالة الكسرة السابقة التي قبلها حتى أصبحت كسرة طويلة.

إذن في كل هذه الألفاظ التي أوردوها تكمن حقيقة التغيير الصوتي باختزال الصوت المشدد فيها، ثم إطالة حركة العنصر السابق لنحصل في النهاية على حركة طويلة لتصحيح بناء الكلمة وتتوافق مع وزن الكلمة: دِنّار (dinnaar) ←دينار (diinaar).

وسبب اختزال المشدد والتعويض عنه بإطالة الحركة القصيرة التي قبله، هو طلب الخفة لأن التشديد ثقيل، قال ابن يعيش: "يقولون: دِيوان أصله دِوّان، قيل القلب هنا لثقل التضعيف"(١٧١) بالإضافة إلى الاقتصاد في الجهد، وذلك بالتخلص من التوتر والاحتقان اللذين يسببهما

---

(١٦٧) المقتضب، المبرد(أبوالعباس)تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة: المجلس الأعلى، القاهرة، الجزء الأول: ٢٦٤

(١٦٨) سر الصناعة، ابن جني،، الجزء الثاني ص: ٧٤٤-٧٤٥.

(١٦٩) شرح المفصل، ابن يعيش، الجزء الخامس ص: ١٢٢

(١٧٠) كتاب الإبدال، أبو الطيب اللغوي، .، تحقيق: عز الدين التنوخي(١٩٦٠)، الجزء الثاني ص: ٤٤٥٤

(١٧١) شرح المفصل، ابن يعيش، الجزء الخامس، ص: ١٢٢

نطق الصوامت المشددة بسبب طول فترة انحباس الصوت وبقاء أعضاء النطق في مكانها فترة أطول نسبيا (١٧٢)

وواضح من خلال هذه الأمثلة أنّ هذه الإطالة جاءت كنوع من المخالفة الصوتية ابتداء، ثم من باب التعويض الموقعي للصوت الساقط، لاسيما والسياق الصوتي يتمثل بأن "هناك صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فإن أحدهما يتغير إلى صوت من أصوات العلة الطويلة في الغالب... والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو أنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتسيير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتا آخر، من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا مثل أشباه صوت العلة (الواو والياء)، وبعض الأصوات المتوسطة كاللام والنون والراء(١٧٣)

وقدم إبراهيم أنيس بعض الأمثلة التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة مدغمين في غالب الأحيان، ويتغير فيها أحد الأصوات إلى صوت لين طويل، وهو الغالب أو إلى أحد الأصوات الشبيه بأصوات اللين في بعض الأحيان، وعلق على ذلك بأنه يظهر أنّ الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف ثم سهل الأمر مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المدغمين بأحد الأصوات السابقة، ويقصد بذلك عوامل التَّطوُّر التاريخي لأصواتها، ويذكر منها:

الطَحّ: البسط طَحَا كسعى، والمَحّ: صُفرة البيض، والمَاح صفرة البيض ، وزحَّه: نحّاه عن موضعه .زَاح يزِيح: بعد وذهب وأزحته، وأما بفعل الصالحين فَيَأْتمى: فيأتمّ...فقد قلب أحد الصوتين المدغمين إلى صوت لين طويل (١٧٤)، وهذه الألفاظ التي قدمها إبراهيم أنيس تفترق عما سبقها بأنه تم اختزال المشدد وعوض عنه بإطالة الحركة اللاحقة للمشدد في بعضها.

---

(١٧٢) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب، ص: ٣٥٧

(١٧٣) لحن العامة، رمضان عبد التواب، ص: ٤٥-٤٦

(١٧٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ١٤١

وقريب من هذا ما جاءت الإطالة التعويضية فيه بعد مخالفة صوتية حدثت على هيئة حذف أحد المثلين المتتابعين والتعويض عنه بإطالة، وهي الصورة الثانية، ومثل ذلك "لا وَرَبِيكَ لا أفعل، أراد: لا وربّك لا أفعل، فأبدل الباء الثانية ياء لأجل التضعيف"(١٧٥) حيث حذف أحد المثلين المتتابعين (الباء)والتعويض عنه بإطالة الكسرة فأصبحت طويلة.

هذا وقد أشار إليها الشجري في أماليه، وضرب أمثلة منها: تتلعى من اللعاعة، وتقضّى من التقضّض، ولا أملاه بدلا من أملَلَه، ودسّاها من دسّسها، ويتمطّى من يتمطّط(١٧٦)وكان الأصل يتمطط فقلبت الطاء الثانية ألفا، كما قالوا في يتظنن يتظنى(١٧٧) ومنها: تصدى والأصل تصدّد من الصدد(١٧٨)ومن الأمثلة التي نجدها كذلك تمثل الظاهرة "تَغَلَّى في تَغَلَّلَ(١٧٩)، و"تَلَظَّى في تَلَظَّظَ(١٨٠)، ولبّى من لبّب أي أقام(١٨١) وفي هذه الأنماط حذف المثل الثاني من المثلين المتتابعين والتعويض عنه بإطالة الفتحة فأصبحت طويلة.

ومما ورد بصورة الإطالة من هذه الألفاظ في كتاب الله قوله تعالى: "وقد خاب من دساها "قال الفراء "ونرى –والله اعلم- أن دساها من دسّست بدلت بعض سيناتها ياء"(١٨٢) وقوله عز وجل: "ثم ذهب إلى أهله يتمطّى"(١٨٣) وقوله سبحانه: "فأنذرتكم نارا تلظى "(١٨٤) فالأصل تتلظظ، وقال تعالى: فأما من استغنى فأنت له تصدّى "(١٨٥)

---

(١٧٥) سر الصناعة، ابن جني، الجزء الثاني ص: ٧٤٤-٧٤٥.

(١٧٦) الأمالي، ابن الشجري، تحقيق محمود الفناحي: مكتبة الخانجي، القاهرة (١٤١٣)، الجزء الثاني: ١٧٣-١٧٤

(١٧٧) المصدر السابق، الجزء الثاني ص: ١٧٤

(١٧٨) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الثامن ص: ٤١٩

(١٧٩) لسان العرب، ابن منظور، مادة (غلل)، الجزء الحادي عشر ص: ٥٠٢

(١٨٠) المصدر السابق . مادة (لظي) ، الجزء الخامس عشر ص: ٢٤٢

(١٨١) الإبدال، أبو الطيب اللغوي ، الجزء الأول ص: ٣٩٦

(١٨٢) معاني القران، الفراء، الجزء الثالث ص: ٢٦٧

(١٨٣) القيامة . آية ٣٣

بل نجد من الألفاظ ما جاء في القرآن باللغتين جميعًا المثلين والإطالة، كقوله عز اسمه: "وَلْيُمْلِلِ الذي عليه الحقُّ" (١٨٦)، وبالإطالة قال تعالى: " فهي تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا" (١٨٧)، والآية الأولى جاءت على لغة أهل الحجاز وبني أسد، أما الثانية فهي لغة تميم، وقد ذهب النحاس إلى أن ذلك مطرد عند التميميين ليس في هذه الكلمة فحسب، وإنما يطرد ذلك عندهم في كل مثلين إذا اجتمعا في كلمة واحدة، قال في إعراب القرآن: وكذلك يفعلون - أي بنو تميم - في الحرفين إذا اجتمعا وكانا مثلين"(١٨٨)

وهنا خولف بين المثلين بحذف الأخير منهما، والتعويض عنه بإطالة الحركة السابقة للمحذوف وهي فيما سبق الفتحة، ولا تكاد الأمثلة التي تمثل التخلص من التضعيف تحصى، نذكر منها أيضا: تَسَنَّنَ تَسَنَّى(١٨٩)، ومن هذا القبيل: قد اكلندى في اكلندد(١٩٠) إلى آخِر ما ذكره القدماء من علماء اللغة العربيَّة والنحو.

ويضيف الشايب إلى كل ما ذكره اللغويين "كل ما جاء من الأفعال على بناء "فَعْلَى" وذلك مثل جَعْبى وسَلْقى وخَنْظى وعَنْظى، فالأصل في هذه الأفعال ينبغي أن يكون: جَعْبَب وسَلْقَق وخَنْظَظ وعَنْظَظ .... ونحن- والكلام للشايب- نعد الياء هاهنا عوضا من صامت محذوف مماثل للصامت السابق للياء، وذلك لأنه قد اطرد أو كثر التعويض بالياء عن

---

(١٨٤) الليل . آية ١٤

(١٨٥) عبس. آية ٦

(١٨٦) البقرة . آية ٢٨٢

(١٨٧) الفرقان. آية ٥

(١٨٨) إعراب القرآن، النحاس، الجزء الأول، ص: ١٥٩

(١٨٩) المخصص، ابن سيده(أبو الحسن أحمد)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الثالث عشر ص: ٢٨٨ وما بعدها

(١٩٠) الإبدال اللغوي، أبو الطيب، الجزء الأول ص: ٣٩٦

أحد المثلين المتتابعين، ومن ثم فالياء عندنا عوض وليست زائدة زيادة محضة..... وكل ما جاء من الأفعال على بناء افْعَنْلَى وذلك مثل احْرَنْبَى واحْنَبْطَى، فالأصل في مثل هذا هو: افْعَنْلَل أي احْرَنْبب واحْنَبْطَط، ويؤكد ذلك وجود مثل: اقعنسس واسحنكك واكلندد.. كما أننا نحمل على هذا الباب ما جاء من الأفعال على وزن "افْعَوْعَى "نحو اقْلَوْلَى احْمَوْمى واذْلَوْلَى واقْطَوْطى واعْرَوْرَى"وهذه يزنها السلف على افْعَوْعَل، فهذه في رأينا ترجع إلى احمومم واذلولل واقطوطط واعرورر، ثم خولف بين المثلين بحذف الأخير منهما والتعويض بالياء (١٩١)

وإذا كان الشايب يعد ما مر مخالفة بين المثلين المتتابعين في آخره عن طريق حذف أحدهما والتعويض عنه بياء، فإننا نتفق معه في الجزء الأول من تفسيره في أن أحد الصوتين المثلين حذف، لكننا نرى أنه تبع الحذف إطالة حركة النواة السابقة للمحذوف على النحو الآتي: سَلْقَق (ص ح ص+ص ح+ص ح) ← سَلْقَى (ص ح ص+ص ح ح)

وإحلال الإطالة هنا تخفف من ثقل تتابع المتماثلين في السياقات اللغوية، فالمخالفة مظهر من مظاهر التطوّر اللغوي الذي يهدف إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ، وهو إحدى نتائج نظرية السّهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أنّ الإنسان يسعى للتخلص من الأصوات الصّعبة في لغته -وهل هناك أصعب من اجتماع الأمثال في الكلام؟ - التي يكلّف إنتاجها جهدا مضنيا وتعويضها بما هو أخف على اللسان وألطف خصوصا إذا كان على صورة إطالة .

يقول سيبويه: " ولعلَّهم كانوا يريدون بذلك وأمثاله طلب الخفَّة والسهولة في نطق الحروف العربية، وما ذلك إلاَّ لأن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأنَّ اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أنّ يكون من موضع واحد ... وذلك لأنَّه يثقل عليهم أنّ يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثمَّ يعودوا له، فلمَّا صار ذلك تعبا عليهم أنّ يداركوا في موضع واحد، ولا

(١٩١) أثر القوانين الصوتية، فوزي الشايب. ص: ٣٥٢-٣٥٣

تكون مهلة كرهوه وأدغموا؛ لتكونَ رفعة واحدة، وكان أخفَّ على ألسنتهم مما ذكرت لك(١٩٢)

والظاهر أنّ الغرض الصوتي للإطالة كما في إطلاقها تعويضية، وقد وصفنا الإطالة بالتعويضية، لأن الإطالة جاءت كعنصر تعويضي ليعيد للكلمة ما نقص منها، ولما ذهب منها من أصوات عند فقدان بعض أجزائها، حتى إذا أخذ متحدث اللغة بنطقها لا يشعر بخلل في البناء أو الصيغة، أو شعر بأن البناء غريب عن إحساسه اللغوي، ويمكن القول بشيء من التفصيل أنّ إشغال موقع الصامت بعد إسقاطه أو إضعافه بالإطالة التعويضية لأحد الأسباب الصوتية والصرفية الآتية:

• للإبقاء على الإيقاع الصوتي للكلمة أي وزنها، وذلك للمحافظة على صيغة الكلمة، ومن هنا كان حرص اللغة للإبقاء على الإطالة حتى ولو وقعت الكلمة في جانب تركيبي يوجب حذفها، كما في قراءة ابن عامر والحسن والأعرج وابن أبي عبلة والأعمش، إذ قرأوا قوله تعالى: يا آدم أنبئهم بأسمائهم(١٩٣) أَنْبِيهم بإبدال الهمزة ياء وكسر الهاء (١٩٤)، حيث خففوا الهمزة فقلبوها إلى حرف مجانس للحركة التي سبقها، وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة (١٩٥) "نَبِّيء عبادي "نَبِّي بغير همز بياء ساكنة (١٩٦)وهي في حفص: "نَبِّيء "بسكون الهمزة، ولذا نحكم عليها بخضوعها لقانون التخفيف الهمزة حتى نتجنب ردها، فاللغة لم تتخل عن الحركة في المستوى التركيبي في سبيل المحافظة على بنية الكلمة، حتى لا يؤدي إلى اختلال في الموقع أو البنية، يقول شاهين: "ولكن التخفيف مع أنبيهم ...مع إبقاء طول الحركة يجرُّ إلى شذوذ نحوي يتمثل في بقاء حرف العلة مع حالة الجزم، وإن دل على إحساس الناطق بموقع الهمزة، أو على

---

(١٩٢) الكتاب، سيبويه، الجزء الثاني ص: ٣٩٨ .

(١٩٣) البقرة . آية ٣٣

(١٩٤) البحر المحيط، أبو حيان، الجزء الأول ص: ١٤٩، معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الجزء الأول: ٧٧

(١٩٥) الحجر. آية ٤٩

(١٩٦) شواذ القراءات، الكرماني ص: ١٢٩

الأصح: موقع النبر في سياق الكلام [١٩٧]ومجيئها واضح بشكلها العام للالتزام ببناء الصيغ والألفاظ.

• ربما كانت الإطالة تهدف للمحافظة على النظام المقطعي للأبنية والصيغ، وذلك بالتعويض الموقعي للصامت الساقط بالتعويض عنه بالحركة الطويلة، وللمحافظة على كمية المقطع دون النظر إلى نوعه، ونجد التغير المقطعي الذي حصل في البنية المقطعية لبنية دنّار: دنّار ← دينار وقيراط وديباج، والصورة المقطعية على النحو الآتي:

ص ح ص+ ص ح ح+ص ح (دنّار) ← ص ح ح+ ص ح ح +ص ح (دينار)

• كنوع من المخالفة بين المثلين كما في: أَأْدم: آدَم، ويتمطّى من يتمطّط.

• ربما يعود الأمر إلى الطبيعة النطقية للإطالة، فالإطالة في حقيقتها النطقية هو تدفق الهواء من الرئتين مع الاحتفاظ بالاستقرار النسبي للأعضاء النطقية مدة أطول إلى حد ما في موضع نطق الحركة الطويلة، ثم تتحرك بعد ذلك لإنتاج الصوت اللاحق، وربما كان هذا الاستقرار يعد تمهيدا زمنيا تتهيأ فيه الأعضاء النطقية للانتقال إلى موضع نطق الصوت اللاحق، ومن ثم كانت هذه الحركات الطويلة أعلى الأصوات في درجة الأسماع، أضف إلى ذلك ميل اللغة لطلب التخفيف وسهولة النطق مما يفسر اجتلاب الحركة الطويلة لتحل محل الصوامت الصعبة كالهمزة .

الخاتمة

نسجل هنا بعض النتائج التي توصل إليها البحث

١- أنّ الإطالة التعويضية ظاهرة لغوية لا مجال لردها أو إغفالها، قد جاءت بها أنماط في القرآن الكريم و قراءاته بنوعيها: المتواترة والشاذة، والكلام العربي المعتد بفصاحته، وكلام العرب (نثره

(١٩٧) القراءات القرآنية، عبد الصبور شاهين، ص: ١٦٠

ونظمه) وإن كانت الإطالة التعويضية ليست لغة لكل العرب، بل هي لغة لبعضهم كـ(أهل الحجاز).

٢- للإطالة التعويضية في العربية صور متعددة، وبعد دراسة مظاهرها يمكن تصنيفها في ثلاث مجموعات تبعا للأصوات التي تحدث لها وهي: الإطالة التعويضية في الكلمات المهموزة (الهمزة المفردة)، والإطالة التعويضية في الهمزتين المتتاليتين، وهما للتخلص من الهمز، والإطالة التعويضية بعد اختزال الصوت المشدد أو التخلص من أحد المثلين المتتابعين في البنية العميقة.

٣- من أبرز ما خلصت إليه الدراسة أنّ اللغة تميل -على الأغلب- للتخلص من المقطع القصير أو الطويل المغلق، فهما عرضة للتحول الصوتي، وتخلفه بالمقطع الطويل المفتوح (ص ح ح)، خصوصا حين تشتمل الكلمة على صوت الهمزة أو الهمزتين.

٤- إن إشغال موقع الصامت بعد إسقاطه أو إضعافه بالإطالة التعويضية يكون لأحد الأسباب الصوتية والصرفية الآتية:

- للإبقاء على الإيقاع الصوتي للكلمة، وذلك للمحافظة على صيغة الكلمة، ومن هنا كان حرص اللغة للإبقاء على الإطالة حتى ولو وقعت الكلمة في جانب تركيبي يوجب حذفه.
- للمحافظة على النظام المقطعي للأبنية والصيغ، وذلك بالتعويض الموقعي للصامت الساقط بالتعويض عنه بالحركة الطويلة، وللمحافظة على كمية المقطع دون النظر إلى نوعه.
- كنوع من المخالفة بين المثلين كما في: أَأْدم: آدَم، ويتمطّى من يتمطّط.

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

أولا: المراجع

[١] أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي: أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهر (١٩٨٧)

[٢] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، فوزي الشايب، الطبعة الأولى: عالم الكتب، اربد (٢٠٠٤).
[٣] الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، الطبعة الأولى: مؤسسة الرسالة، ، بيروت (١٩٨٥)
[٤] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٧٩).
[٥] الأصوات اللغوية رؤية عضوية نطقية وفيزيائية، سمير استيتية، دار وائل، عمان: (٢٠٠٣).
[٦] الأمالي، ابن الشجري،، تحقيق محمود الفناحي: مكتبة الخانجي، القاهرة (١٤١٣).
[٧] البحر المحيط، أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٣)
[٨] بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٨٢)
[٩] التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، الطبعة الأولى، تقديم صالح القرمادي، (١٩٨٧)
[١٠] التطور النحوي في اللغة العربية، برجشتراسر.، أخرجه وصححه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٩٨٢).
[١١] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه(الحسين بن أحمد) تحقيق عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثالثة: دار الشروق،، بيروت (١٩٧٩).
[١٢] الخصائص، ابن جني،، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية: دار الهدى، بيروت
[١٣] دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٤)
[١٤] دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، الجامعة التونسية(١٩٦٦).
[١٥] شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي، الأستراباذي(رضي الدين محمد)، حققها وضبط غريبها:

محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٢).
[١٦] شرح المفصل، ابن يعيش(موفق الدين)، الطبعة الأولى، قدم له أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان (١٤٢٢-٢٠٠١)
[١٧] شواذ القراءات، الكرماني(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر)تحقيق شمران العجلي: مؤسسة البلاغ، بيروت
[١٨] علم اللغة العام، الأصوات اللغوية، كمال محمد بشر: مكتبة الشباب، القاهرة (١٩٨٧).
[١٩] فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمه رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، (١٩٧٧).
[٢٠] في الأصوات اللغوية، غالب المطلبي، دراسة في أصوات المد العربية منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
[٢١] في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، : مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٦٥).
[٢٢] القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة .
[٢٣] الكتاب، سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، : دار الجيل، بيروت، د.ت.
[٢٤] كتاب الإبدال، أبو الطيب اللغوي، .، تحقيق: عز الدين التنوخي(١٩٦٠).
[٢٥] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، بيروت
[٢٦] لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية: مكتبة الزهراء، القاهرة.
[٢٧] لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي) دار صادر، بيروت (١٩٥٥).
[٢٨] اللهجات العربية في التراث الجندي، أحمد علم الدين، الدار العربية للكتاب(١٩٨٣).

[٢٩] المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى: دار الكتب العلمية، ، بيروت (١٩٩٨) .
[٣٠] مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالوية(الحسين بن أحمد)، عنى بنشره برجشتراسر، دار الهجرة، بيروت.
[٣١] المخصص، ابن سيده(أبو الحسن أحمد)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
[٣٢] مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، سباتينو موسكاتي وآخرون، ترجمة مهدي المخزومي، عبد الجبار المطلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت (١٤١٤-١٩٩٣).
[٣٣] معاني القرآن، الأخفش (سعيد بن مسعدة)، تحقيق هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤١١-١٩٩٠)
[٣٤] معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، الطبعة الأولى، دار سعد الدين،، القاهرة (٢٠٠٠)
[٣٥] المقتضب، المبرد (أبو العباس)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
[٣٦] المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت
[٣٧] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد)، نشره علي الضباع: دار الفكر، بيروت

ثانيا: الدوريات

[٣٨] الهمزة دراسة صوتية تاريخية، صلاح الدين صالح حسنين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٩، (المحرم ١٤١٤ه / يوليو ١٩٩٣)م
[٣٩] ما بعد الاستشراف، محمد مفتاح، مجلة سمات جامعة البحرين، مركز النشر العلمي، ٢٠١٣ مايو، مجلد ١عدد ١.

ثالثا: المراجع الأجنبية

[40] Spencer, A. Phonology: Theory and description. Blackwell Publishers Inc, 108 Cowley Road. Oxford OX4 1JF, United Kingdom(1996).

[41] Darya.k.compensatory lengthing, phonotics, phonology, diachrony(2001)

The compensatory lengthening in Arabic, contemporary phonetic and morphological study. "qiraa>at >azzohri as an archetype"

Dr. Ali Suliman Aljawabrah
Assistant Professor of Language Studies University Taibah
Medina

Abstract. The compensatory lengthening is one of the important phonetic and morphological phenomenon that requires to research because it has a lot of various examples in the Arabic Language. This study aims at recording what said about it, and discuss the older and modern specialists' opinions about its different issues.

The study contains an introduction, in which the term compensatory lengthening as a phonetic phenomenon is defined, the changes according the older and modern investigators, speech, Then compensatory lengthening studied in twofold: phonetic aspect relates to the phonetic context in which it forms and the reason of sound loss, the other is the morphological one related to compensatory element represents in movement length and its role in conserve the word structure.

Here we find different forms of compensatory lengthening in Arabic Language. Investigating it reveals that: the issue of eliminating of (al-hamzah) in Arabic then taking places the lengthening as a compensatory element about its loss in terms with the intensive association of compensatory lengthening with stress.

Moreover, the issue of stressful sound reduce (>ixtizal al-mušddad) or eliminate one of the narrowing identical sounds(attaxalluṣ min <aĥad al-maṭalayn)then compensate them ..

Keyword: lengthening, The compensatory, stress, the syllabic system of structures.